

# أزواج ساردة



الطبعة الأولى

يوليو ١٩٤١







# اُرْوَاعَ سَارِدَة



الطبعة الاولى

يوليو ١٩٤١

١١٦٩

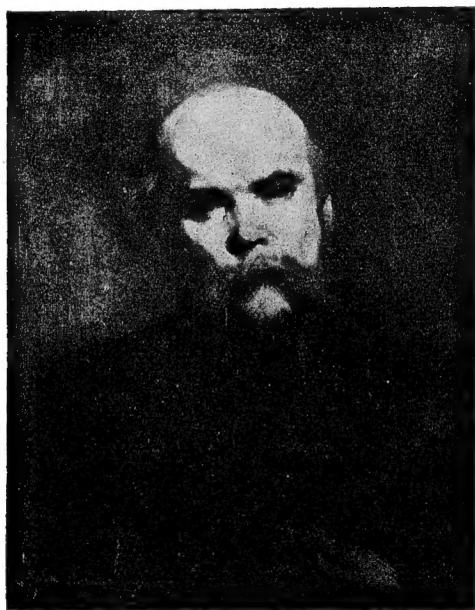
شركة من المطابع  
مطبعة برشته في شهر اكتوبر سنة ١٢٩٦

الى تلك الزهرة الأفريقية لها دقة تمت بلوج لـ  
هذه الأرواح الباردة في فيه ابرع والعذاب والمـ

عمر حـ











## پول فيرلين

PAUL VERLAINE

كان قتي حالمًا ، رقيق البدن ، بارز الجبهة ، عميق النظرة ، مريح النفس ؛  
قذفت به الحياة إلى معتركها غمرًا ، لم تكشف له تجاربه المحدودة عن طبائع الناس ولم  
يبهته طبعه الرقيق ومزاجه الحاد ، لمكابد شظف العيش وضنك الحال ؛ وإن هيأته  
روحه ليكون حيث هو الآن ، من نياحة الذكر ، وسمو المنزلة ، وخلود الأثر .

ولو قد عرف البارناسيون<sup>(١)</sup> ما ناطته السماء بمستقبل هذا الصبي الشاعر ،  
وهو يختلف إليهم من حين إلى حين ، ولو قد تبين جماعة « مالارمى » ما تطلق  
به مخايل هذا الشاب العايب في أبهاء الحى اللاتينى ، لمحوه أحداث الزمن ، ولكأ  
تركوه غرضًا للفاقة والتشريد والعذاب ، ولضنوا بصاحب هذه النفس الشاعرة  
الموهوبة والعبقرية المبدعة القذة ، ألا يجد وهو في مستهل حياته قوت يومه ،  
ثم لفزعوا إلى القدر لما صرف أمه عن العناية به صغيراً ، فشبَّ مطلق العنان ،  
يرتاد الموانير ، ويدمن الخمر ؛ ثم لكأ غادر زوجه وأمه وولده هائمًا بين

---

(١) البرناسية ، كالأبداعية والواقعية والرمزية من المذاهب التى تفرع عنها الأدب الفرنسى  
وأثرت فى الأدب العالمية الحديثة ؛ فالأبداعية تصدر عن الماطقة المطلقة والاحساس الشنوف  
بالصور والأشكال والألوان وانكاساتها ؛ والواقعية تنى بالوصف الصادق والتعبير المجرد  
سواء أأرضى أم أسخط مع اجتناب اللبالات ؛ والرمزية هى هذه الإيماءات والظلال التى  
تبر عن الانفعالات النفسانية والرموزات الروحية بالرموز حيث الموسيقى أحياناً ؛ أما البرناسية  
فهى منهج العقل الذى ينظم الماطقة ويسقى الاحساس من الاضطراب والصخب ، ويحد من  
فودته وثورته ، فنأيتها الأصالة الفنية والتعبير من أجل الفن ، والسو به إلى مثل عليها جديدة .

باريس ولندن وبروكسل ليعود إلى وطنه ضحية اتهام قاسٍ ، ينال من رجولته ، ويلقي على نجمه المتوقد ، سحابة من الزاوية والامتحان ؛ ثم لمّا ارتفعت من حوله صيحات العار ، تلاحقه من مكان إلى مكان ، ففَلَقَتْ في وجهه أبواب الرزق ، وسدّت على ذلك الهارب المسكين منافذ الرجا والطمانينة ، قضى يستنبت الأرض في الريف البعيد ، في كثير من اليأس والعناء ، وهو ذلك الروح المرح ، الذي لم يخلق لغير الشعر والعناء ؛ ثم لمّا تحالف هذا الشر كله على ذلك الضعيف المكدود ، فاستبدّ به المرض ، قضى غربياً وحيداً ، منبوذاً ، إلّا من امرأة بائسة مثله ، ساهمت حبه الأخير وشقاء الأخير ، فلفظ في ظل قريبها وعطفها نفسه الأخير .

حقاً !! لقد كانت حياة فيرلين فاجعة محزنة ؛ فن الحان إلى السجن إلى الماخور إلى الهيام في الطرقات ، إلى ملاجئ البر .

هذا هو الشاعر الخالد . . الذي كان أرخم صوت غسائي صدح به الشعر الفرنسي في القرن الذي أنجب هيجو ، لامارتين ، جوتييه ، موسيه ، بودلير ، رامبو ، جول لافورج ، مالارمي وغيرهم .



ستيفان مالاري

إن في حياة هذا المشرّد الكبير ضروباً من العبث ، وألواناً من الألم ، ولكنه العبث الذي تستقيم به حياة الفنان البوهيمي ، والذي يتيح للأدب في كل جيل فناً شتى من الإبداع والإبداع ؛ ولكنه الألم الذي يفرض العذاب على القلوب الشاعرة فينطقها بالنغمات الفريدة الساحرة ، ويصل ما بيننا وبين السماء ، فتشرب من روعة اللانهاية وصفاتها ، وتمنح البشرية الوضيعة المعذبة ، لحظات من السعادة والسمو ؛

ولد بول فيرلين في مدينة «متر» من ولايات فرنسا الشمالية ، في الثلاثين من شهر مارس عام ١٨٤٤ ، أى بعد مولد بودلير الشاعر بثلاثة وعشرين عاماً ، وكان أبوه ضابطاً ممتازاً في الجيش الفرنسى ، وعند ما بلغ السابعة من عمره ، رحلت به عائلته إلى باريس ، فألحقته بمدرسة خاصة ، ثم بمعهد « ليسى بوناپرت » حيث أظهر فيرلين على حدائقه ، تفوقاً مشهوداً في اللغتين اليونانية واللاتينية وفى علوم البلاغة والأدب ، فنجح جازئتها مع درجة شرف ثم استمر في دراسته قليلا من الزمن ، حتى ظفر بوظيفة حاسير في إحدى دوائر باريس المالية . ولكن حياة فيرلين الشاعر تبدأ عام ١٨٦٦ ؛ ففي الثانية والعشرين من عمره أخرج أول مجموعة شعرية عنوانها « قصائد عابسة » « Poèmes Saturniens » وبعد ثلاث سنوات نشر مجموعته الثانية « أعياد مريحة » « Fêtes Galantes » فأصاب فيرلين من تينك المجموعتين ، حظاً كبيراً من الشهرة والتقدير كشاعر غنائى نابغ ، كما أصاب حظاً من التماسه والشقاء ؛ وكانت الأيام قد مهدت لهذه المتناقضات ؛ فقبل نشر ديوانه الأول بعام ، مات والده ، وعاش الشاعر الصغير في رعاية أمه ، فخلته ، وأعانتة على عبث الشباب ونزقه ، بما كانت تمدّه به من المال ، فانغمس الفتي في شهواته ، وانطلق يعب من ملذات الحياة كيفما اشتهت نفسه الفاتمة ، وشبابه المضطرم .

ثم أعانتة الأقدار بعد ذلك على الحياة التى بدأ يشغف بها ويستمرها ، حياة الشرود والهيام ، فصادف جماعة من الشعراء البوهيميين الذين كانوا يجتمعون كل مساء في مطعم « ريشولى » بالحى اللاتينى فما لبث أن مال إليهم واتدبج في عشيرتهم ؛ كانوا يجتمعون فيتناولون الأدب والفن بالدراسة والنقد ، ويتجادلون في شئون الشعر ، وكان فيرلين من هذه الجماعة ، حظ كبير من الخير ، فصقلت محاوراتهم طبعه ، وأظهرته على ألوان مختلفة من الجمال والخيال ،

ولكن كان له إلى جانب هذا الخير حظ كبير من الشر ؛ فقد حبت إليه عشرتهم احتساء الخمر أولاً ، وإدمانها ثانياً ، وكان فيرلين رقيق البدن ، عصبي المزاج ، حاد الطبع ، وكان الخمر سمه القاتل !

وصار فيرلين بعد ذلك من المترددين على صالون « لويس كسافير دي ريكارد ، فالتصل بالبارناسيين « Parnassians » جماعة « ليكونت دي ليل ، ولقيت شاعريته المبدعة ، هوى وتقديراً ، من الشعراء والنقاد النابهين في الأوساط



الادبية العالية ، الذين تضمنهم هذه الجماعة ، أمثال جوزي ماريا ، سوللي برودوم ، فرنسوى كوييه وكاتول منيدى وغيرهم ؛ ولعل هؤلاء خير ما صادفه الشاعر في حياته الادبية ، فقد أثبت اتصاله بهم شخصيته كشاعر مرموق الحاضر ، مرجو المستقبل ، كما أصبح فيهم بعد ذلك ظاهر الشخصية نابه الشأن .

كان هذا في الفترة ما بين عام ١٨٦٦ وعام ١٨٦٩  
ليكونت دي ليل  
أو ما بين ظهور ديوانيه الأول والثاني .

وفي ربيع عام ١٨٦٩ قابل فتاة تدعى ماتيلد موت Mathilde Mauté أخت أحد أصدقائه ، فتحاباً من النظرة الأولى ، وزاد شغف فيرلين بفتاته كما استمرت ماتيلد مطارحاته الغرامية ، ففكروا في الزواج ، ولم يكن أمره مستطاعاً فقد كانت ماتيلد فتاة صغيرة ، وكانت حداثة سنّها تحول دون الزواج ، وأخيراً ظفروا بهذه السعادة ؛ ولم يكن ثَمَّت من سعادة يحلم بها فيرلين بعد ذلك ، فقد كان مُدْمِغاً ، يستغرقه الحب ، وكان يرى في الزواج رابطة مقدسة ، كما كان يرى فيه منقذاً له من نقائصه ، مطهراً لكل آثامه . ولكن هذا الحلم الجميل لم يتحقق ! فقد بدأت الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا ، وكان البروسيون يطوّقون

باريس؛ فتطوع فيرلين في جيش المواطنين المدافعين عن مدينتهم، وهكذا فارق الشاعر زوجته بعد شهر قليل من زواجهما، وعاشت الشابة الصغيرة في بعض غرف شارع «الكردينال ليوان» تنتظر زوجها الشاب .  
ووضعت الحرب أوزارها، وعاد فيرلين إلى باريس، ولكنه كان قد تغير؛ كان لا يزال على عهده من الحب لزوجته، ولكنه عاد سيرته الأولى، مستغرقاً، في حماة تقاضيه؛ عاد فيرلين إلى باريس ولكنه فقد وظيفته الأولى، وكان الاسراف قد أودى بأمه إلى الفاقة والعوز، فاضطر فيرلين أن يفادر باريس، حجة أمه وزوجه إلى «شارفيل» لا ليشاركوا والدي «ماتيلد»، غرقتهما الوحيدة لحسب، بل ليعيشوا أيضاً عائلة عليهما .

ولم يكن هذا كل ما أعدته الأقدار لفيرلين في «شارفيل»، فقد بدأت أخطر دقائق حياته من الاقتراب، وكانت النكبة التي لوئت حياة هذا الشاعر المسكين، في خطاب تلقاه من شاب يدعى «آرثر رامبو» Arthur Rimbaud ضمنه إعجابه الذي لاحد له بأشعار فيرلين كما ضمنه شيئاً من أشعاره .



ووجد فيرلين في هذا الخطاب رجلاً يرفعه إلى مصاف المبشرين، كما وجد في هذا الرجل شاعراً مبدعاً، في شعره قوةً جديدة وصوت جديد وخيال جديد؛ فاندفع فيرلين. يدعو صاحبه إلى «شارفيل» دون روية أو إيمان، وحل رامبو ضيفاً على هذا الخليل المزدهم، يشاركونهم نومهم ويقظتهم، ويسامهم زادم وشرابهم؛ وكان رامبو شاباً في السابعة عشرة من عمره ولكنه كان مخلوقاً غريباً حقاً!!... كان مديد القامة، قدر الثياب، وكان عاطلاً أيضاً، وكان مخبره أحمقاً من مظهره؛ كان شريراً بكل ما في

كلية الشر من المساعي ، وكان رجلاً سكيراً ، فظلاً ، كثير اللجاج ، محباً للشاكسة ، فلم تستطع ماتيلد وأمها صبراً على هذا الضيف وسرعان ما تخلصاً منه ؛ ولكن رامبو وجد مأوى آخر ، واستطاع أن يتصل بالكثير من الشعراء أصدقاء فيرلين ، فرعان ما أثر فيهم وتسلط عليهم ، ومن ثم وقع فيرلين روحاً وعقلاً تحت سلطان هذا الساحر . أما ما انتهى إليه أمر هذه العلاقة بين الشاعرين فقد اختلف في اكتناه أسرار الكتاب والمؤرخون ، وإن أجمعوا على أنها العلاقة الشاذة التي يتأثم بها اثنان من جنس واحد ؛ وهو اهتمام لم يفرغ التقاد من تحقيقه حتى اليوم ؛ أما الذي لا سبيل إلى الشك فيه فهي النتائج المحزنة التي انصهرت عنها مأساة هذه العلاقة ، ولا ندحة من أن نمسها مساً رقيقاً ؛ فقد جعلت حياة ماتيلد مع فيرلين أمراً مستحيلًا فدفعته إلى هجرها ، ثم ساقه وصاحبه رامبو إلى انكلترا ، ثم إلى بروكسل ثم أورتمه إدمان الخمر ، فبالغ في نشوته إلى حد نال من صحته ، وأوهن أعصابه ، وأوقعه في جنون التخيل والتوهم "Pasomania" ؛ ثم استمرت المأساة في عملها فدفعته الشاعرين إلى الخصام الشديد ، ثم رفعت يد فيرلين بالنار يطلقها على صاحبه مرات . فاذا صاحبه جريح ، وإذا فيرلين رهين بين « موز » ثم تخلص المأساة من رامبو ، لتصل بحياة فيرلين وحده فيخرج من السجن بعد عامين ويعود إلى فرنسا . ثم يحصل على وظيفة مدرس بأحد المعاهد لينفقدها بعد زمن قصير ، ثم يضيق به الحال ، فيذهب بأمه إلى « إردن » مؤثراً فلاحة الأرض ، ولكنه لا يصيب حظاً من النجاح ، فيغادر فرنسا كلها ويعود إلى انكلترا للمرة الثانية . ثم يحين إلى وطنه فيرجع إليه عام ١٨٧٨ ويظهر بمنصب أستاذ في كلية « رتل » Rethal ومنها إلى باريس ؛ وإذا بالمتشرد الكبير يظهر مرة أخرى في الحى اللاتيني ، ويتصل بأصدقائه القدماء ، من الشعراء



الرمزين روّاد هذا الحى ؛ ثم يسم له الحظ قليلا فينشر مجموعة جديدة من شعره وكتاباً آخر في تصوير بعض الشخصيات الأدبية ، فيصيب من ورأتهما بعض المال . وكثيراً من الشهرة والمجد ، ثم يمس الحظ له إلى الأبد ، فيتخطف الموت أمه عام ١٨٨٦ ويقع فيرلين تحت وطأة المرض هيكلاً عظماً ولكنه رغم هذا لم يقطع عن إدمانه الخمر ؛ ثم تذهب به المأساة الكبرى إلى نهاية الشوط ، فأبى ما تملك الصفع عنه وترفض لقاءه ، وتستأثر وحدها بطفلهما الوحيد ، وهكذا يقف فيرلين حيال العالم وحده ، ثم تعبر به عشر سنوات أخرى وهو يضرب في هذا التيه الفاسد والعذاب المطلق حتى يصادف « أوجيني كراتس » فيؤلف بينهما اليأس ويصدق بليل الحب فوق طلل هذا القلب المهمل الحزين ، فيتعش قليلا ولا يكاد يخفق للحياة الجديدة ، حتى تتألب عليه الأمراض فيعجز عن مقاومتها ، فيصرعه الموت ، وبذلك تنتهى حياته أو مأسأته المفجعة عام ١٨٩٦ .

كان فيرلين شاعراً غنائياً محبوباً ، وقد ظهر ميله إلى الشعر أيام دراسته الأولى فأظهر في قرصه مقدرة ونبوغاً لا يتكافئ معهما عمره الصغير ، أما ديوانه الأول « قصائد عابسة » قد كانت عملاً فنياً رائعاً ، وكان كله شعراً غنائياً تضطرد فيه الموسيقى اضطراداً عجيباً ، تجرد في بعضه الاناقة والجمال ، وفي بعضه الآخر العظمة والركة ؛ ولعل أجمل قصائده قصيدته في الخريف ، أترجمها شعراً وإن كانت الترجمة تفقدها أجمل ما فيها وهو الموسيقى .

تهدأتُ الرياحُ

رتيبة التواجر

تمرح قلبي بها قيثارة الخريف

وتم صوت طائر

من الستين الغواير  
يهتف في فأصنى الهاتف المظيف  
ويستفيض خيالى  
بالذكريات الخوالى  
أنشدتها فأبكى  
بالمدمع الذريف  
وعند ذا تحملنى  
ورقة من فن  
قد ذلت وانطلقت في العاصف الشفيف

وما كاد ديوانه الثانى « أعياد مرحة » يظهر في المكتبات ، حتى أقبل عليه الأدباء ، وكان حظه عظيما من التناقد الكبير « سنت ييف » فبدأ يكتب عن ثيرلين الشاعر ، كماكتشاف جديد ، وذخيرة نفيسة في الشعر الفرنسى ، كما كتب عنه الكاتب الكبير « فرنسوى كويه » فوصفه بأنه خلق شعرا يمتاز بطابعه الفردى ، ويسترعى أرق اهتزازات العصب الانسانى ، وأن قوافيه وأوزانه تجمع بين الحرية والترسل في أسلوب كله قوة ، وكله عبودية ، واستعارات رائعة وموسيقا فريدة .



سنت ييف

والحق أن ديوانه الثانى « أعياد مرحة » كان له من عنوانه نصيب عظيم ، فكانت قصائده أكثر احتفالا بالبهجة ، وهكذا تكون روح الشاعر ، ففناؤها يترجم دائما عن شعوره بالحياة ، وتأثره بأفراحها وأتراحها ، فهى في ديوانه الاول ينشأها الاضطراب ، وهى في ديوانه الثالث Romances sans Parole الذى نظمها في السجن ، تتجاوب بأصداء الالم الذى تضطرب به روح الطائر الحبيس

وهي في ديوانه الثاني مرحلة تصدح بالفرح، وتفرّد بالأمل الجليل، وكما أنطلق  
 البؤس فيرلين كذلك أنطقه الحب، ولم يكن غرام مائيل عبثاً محضاً، فقد  
 ألهم فيرلين أرقّ أشعاره، وأعذب أغانيه، وكشف عن جوهر روحه الصافية،  
 وإبداع عقله، فمن العيون الضاحكة، ومن الشعر الأشقر المتوجّج، ومن  
 هذا الصوت الرخيم، استمد فيرلين ألوان خياله الثلاثة، ومرح قوافيه،  
 وروعة أنغامه، ولعلك تحسّ هذا كلّ في هذه القصيدة :-

هذا هو القمر القضي يملأ الغابة نوراً

وتمّ صوتٌ ساحر يهتف تحت كل فرع ومن ذؤابة كل غصن « يا محبوبتي

هذا هو التدبير الرقراق كصفحة المرأة

يسبح فيه خيال الصفاقة السوداء حيث تئنّ الريح

ألا فلتحلم يا حبيبتى فلك ساعتها

فالكون يلهم السكون ويهفو به الخنان

كأنما تسلسل اللاتايا المشرقة ألوانها

ألا إنها الساعة المنتظرة !!

وليست أشعار فيرلين كلها بهذه البساطة، نعم إن منها ما يعد من الأغاني  
 الشمسية، ولكنه أيضاً كان شاعراً رمزياً غيقاً، ومن الواضح أن فيرلين  
 تأثر ببودلير إلى حد ما، فقد أسلفنا القول أن بودلير سبقه بثلاثة وعشرين عاماً،  
 ولعل الجانب الرمزي في بودلير هو الذي استهوى فيرلين، ولعله الجانب الشهواني،  
 بيد أن الفرق بين الرجلين كان بعيداً جداً، فهما يختلفان في الطبع وفي النظرة  
 إلى المرأة، فقد كان فيرلين طبعاً لين، ونفس رقيقة رغم مزاجه الحاد، ثم إنه  
 كان يحب المرأة حباً أقرب إلى الروحانية منه إلى الشهوة المجردة ولم تهمل المرأة حياته  
 ولكنه الذي أفسد حياتها؛ ولكن بودلير كان شهوانياً إلى حد بعيد، وكان

ذا فلسفة خاصة قد رمى القدر في أحضانه بنسوة يستمرن متعة الجسد ،  
فراح ينشد من وراء فلسفته « حواء » أخرى لاتصل بطريدة الجنة ؛ لقد  
كان بودلير ضحية المرأة أما فيرلين فكان ضحية الخمر 11

إن أهمية شعر فيرلين في موسيقاه ، تلك التي وصفها النقاد بالموسيقى  
الموزارية نسبة لموزار الموسيقى الألماني العظيم ، فيرلين من هذه الناحية من  
طائفة فيلون ، وهائني ، وإدجار لان بوز ، ولكنه زاد عليهم تلك اللغة الباردة  
التي استحدثتها في شعره ، فهي لغة لها أهمية موسيقاه . لقد سكب فيها كل  
ما اضطرب به قلبه من الألم والحاسة والحب والقوة ، وكل ما اضطرب بين  
جوانحه من الأحلام والكتابة والمرح ، ويجدر في القول قبل أن أختم هذه  
الدراسة ، إن فيرلين لم يعيش عامل الذكر في جيله ، ولا منكور الأثر ،  
قد رأى بعينه تألق نجمه في عالم الأدب ، وشهد أشعاره مترجمة إلى غير لغة  
واحدة ، وسمع أغانيه تملأ أفواه الشعب الفرنسي ، كما سمع الكثير من إعجاب  
أعظم كتّاب جيله شأنًا وأخطرم رأياً ، وكان الاعتراف بمكاته من المدرسة  
الرمزية الحديثة أمراً مسلماً به ، ولكن أملاً واحداً من آماله الكثيرة الضائعة ،  
لم يتحقق ، فأضاف إلى عذابه الروحي وشقائه المادي ، شقاء آخر وعذاباً  
جديداً ظلَّ يحزُّ في قلبه حتى وقف عن ضرباته ؛ فقد دفعه يؤسه ، وعار  
علاقته برامبو ، أن يتخلص منهما ويمحوهما بترشيح نفسه « للأكاديمي فرنسي »  
ويشير بعض النقاد إلى أسباب أخرى ترجع إلى غروره في أيامه الأخيرة  
وإعتداده بنفسه ، ولكن من المحقق أنه كان يطمح إلى الظفر بقوة الاحترام  
وإلى مكافأة الأكاديمية الضئيلة لينعم بالراحة بين دنان الخمر ، وكان يرى في  
تحقيق هذا الأمل مجداً خطيراً يتوجَّ حياته بالخلود . وقد وصف النقاد ذلك  
بأنه « كوميديا خطيرة » كما عابوا عليه طموحه لذلك « القبر المزخرف

البعيض الذى يئد القرينة ويطقى النبوغ ، . ولكن الزمن حقق بعد ممانه  
ما عجز عنه فى حياته فرفعه إلى مصاف العبرين وكتب اسمه فى ثبت الخالدين .  
وحسبنا أن نختم هذا الفصل بهذه الآية لأناتول فرانس تتوج بها سيرة  
فيرلين قال :



أناتول فرانس

إنه شيع متعب من الشرود والهمام فى  
الطرقات مدى ثلاثين عاما ؛ إن منظره يكلم  
النفس ويصدم النظر ؛ إنه يجمع بين الشراسة  
والوداعة ؛ سقراطى بالفطرة ، أواخر من ذلك ؛  
حيوان غابة ، مخلوق خرافى ، نصفه حيوان  
ونصفه إنسان ، نصفه وحش ضار ونصفه إله ؛  
هائل كقوة طبيعية غير عاضة لشريعة ما ، فهو  
شبه فيلون وندّه وضريه ؛

لأنهما ولدان شريران !!

رزقا التعبير وأوتيا البيان ،

فباحا بأجل ما فى الدنيا من الأشياء والأحلام !!



## شـازل بـوذـلـير

CHARLES BAUDELAIRE

لم يظهر الشعر الفرنسي في القرن التاسع عشر بمثل هذه الألوان الفريدة الرائعة . التي استحدثها بودليير ، وبيرلين ، ورامبو .  
فمن الحق أن رامبو كان قوة جديدة . وصوتاً جديداً . وغياًلاً جديداً .  
ومن الحق أن بيرلين استحدث لغة شعرية لا عهد بها للادب الفرنسي ،  
وموسيقى غريبة النغم ، كلها محر وكلها روعة .  
ولكن من الحق أيضاً أن هذين الشاعرين يتلاقيان في كثير أو قليل  
من قهما الإبداعى ، مع شعراء آخرين ، مثل فيلون ، هابن ، سونين ،  
أدجار أن بو ، توماس هود ، وشلى ؛ أما بودليير ، فلا نظير لصوره  
الشعرية بين شعراء عصره ، ولا مثبه لفنه بين فنونهم إطلاقاً .  
إن قراءة بودليير تمنحك لحظات سعيدة بين التأسى والطموح إلى المثل  
الأعلى ، وفي المنثور والمنظوم من شعره موسيقى طلبة متوفرة كالتباهات  
الضمير ، رفاة رقيقة التأملات الخاطفة على هوامش الصور العابرة ، وهى  
بعد ، ذات إيقاع تنفذ يساير بنير ما وزن أوقافية ، خطرات النفس الغنائية .  
فليس من توافق المذاهب الشعرية أو المزاج القفى ، أن تقرر بودليير  
ببيرلين ورامبو فى كلتتا هذه . فإن الخلاف شديد بين الأول وصاحبه ،  
إلا من حيث ما أقادوا به الادب الفرنسى من الطراقة والابتداع ، والحصب







والنراء ، وفاز النظره وما شغلوا به زعماء الابداعية من التوفر على تقدم ،  
ودراستهم ، ثم هذه المدرسه الرمزية العظيمة ، التي ظلت أظهر سمات الأدب  
الفرنسي من منتصف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا .

وإذا لم يصب بودلير حظه من التقدير والحفاوة بأدبه في مسهل حياته  
الأدبية ، وإذا لم يضعه بعض النقاد في صف المتأزين من الشعراء العالمين ،  
فلا يرجع ذلك إلى قيمة فنه وبعيزات أدبه ، ولكنه يرجع إلى عوامل  
كثيرة ، أخصها ما أحاط بما كان ينشره من شعر في مجلة العالمين ، ثم تلك الضجة  
التي أعقبت نشر ديوانه « أزهار الشر Les Fleurs Du Mal » ، وما تردد من  
أصدائها في الأوساط الثقافية فاعتبر رجلاً ساقطاً ، غريباً ، زنديقاً .

ويقول الأستاذ « ألكوك Alcock » في مقدمة عنه رفعها إلى الأكاديمية  
فرنسية إن التنويه ببودلير . كان مقروناً بتدهور الفن ، وأن هذه الفكرة قد  
حركت زمناً طويلاً النقاد في الجزر البريطانية ، ولازمت نشاطهم في غير مواربة .  
ولم يكن ذلك بدافع من حكمة الوطنية ، وإنما يرجع إلى اضطراب الفكرة  
المطوّقة دائماً بمالم الفن . ولعل من عوامل خوله ، أن فنه ظل غريباً عن  
الأدب الأوروبي ، حتى في الوقت الذي اتصل فيه رامبو وفيرلين بالنقاد الإنجليز  
أمثال آرثر سيمونس ، وجورج مور ، وغيرهما ممن نقلوا شعرهما إلى الإنجليزية ،  
فأنار الانتباه والإعجاب ، من حيث التفكير واللغة والموسيقى ؛ كما كانت  
حياة التشرد Vagabondage ، التي انفرد بها فيرلين ، من عوامل الاغراء والفتنة  
لاحاديث المجلات والأندية الأدبية في إنجلترا المتفتحة للجديد ؛

ومن غير شك فإن بودلير لم يكن غريباً ولا ساقطاً بالمعنى الذي فهمه  
من روح السقوط والتخريب . فقد يكون شهوانياً متطرفاً خلج عناده  
وانهمك في عبادة جديدة قوامها التحليل النفسي ، ليقم على الميراث المحزون

الذى آل إليه من المرض أو على منـوال حياته التى يرى لما ، هذا إلى جانب ما اجتمع لفانـم دراساته فى علم النفس «Psychology» وعلم وظائف الأعضاء «Physiology» وثقافة كاتب أخلاق «Moralist»

ونستطيع أن نلـس آثار هذه الثقافات مجتمعة فى الصور الشعرية الشاذة التى تمثل الألم والشهوة وتجسد الشر وتُطق الرعب والموت وتحتاج الحس ثم هذه المشاهد البشعة التى صور فيها الجثث المتحللة ، وما تفرضه الحياة على جسم الكائن الحى ، ثم هذا الاضطراب فى الجرأة التى تناول بها موضوعاته الشعرية ، ولكن عـف عبارته الذى كان من مصادر شقائه فى حياته ، وهذه الالفاظ النارية التى لم يكن يملك التعبير بغيرها عن اضطراب روحه وثورة نفسه ، قد دفعت به إلى حيث لا عذر له . فأنظره فى موقف من صية حسناء يغمـر ضوء القمر جسمها ، فهو لا يتكلم عن الحب بعـناه ، ولا عن الجمال بعـناه ، وإنما يتخذ من هذا الموقف معرضاً لمطلقه الخاص ، حين يتكلم عن المرأة ، ويعرض للمرأة . ويرى القاد أن كل ما أسبغه على القمر وضوؤه من أوصاف ينصب على المرأة ويصور طبائعها ، فهى فاتنة ومفسدة كضوئه المتقلب ، وهى فى تحايلها وإغرائها ودعاهـا ضعفها ناعمة رخية ، تغد إلى عقول الرجال وقلوبهم لتفتـ سمومها كهذا الضوء أيضاً ، إسممه وهو يقول :

«ومن ثم شمع السندس مله عينيك ، وشاع الشحبُ الرائع فى أديم خديك ، أجل فعند ما تطلعت إليه انداحت حدقتك بصورة غريبة ، فطوق نحرک بذراعيه المترقتين فى حانٍ بالغـ أورثك الحنين إلى الدموع .  
وما هى إلا فورة من نفوة فياضة حتى غمر عـدك بجو مشع من ضوئه النـاف ، ذلك الضوء الخالد الذى هتف من سبـحات تفكيره قائلاً :  
« ألا فترسم عليك قبلى إلى الأبد »

« ولكن لك مثل فتى وجمال . ولحي كل ما أحب وكل ما يحبني .  
 من ماء ومساب وليل وسكون ، من البحر الزبرجدي المرامى ، من الماء  
 المنطلق السيل ، المتعدد الأوضاع والأشكال ؛ من المكان الذى لن تطرقه ،  
 من الماشق الذى لن تعرفه ؛ من الزهور التى لم تُنبأها الطبيعة ، ومن العطور  
 الفواحة المسكرة . ومن القطط المستلقية فى تراخ ذات الأصوات العذبة  
 الحاكية لتنهات النساء .

« أجل ولكننى فتنة عشاق ، وموضع الإجلال من سماءى وتدمائى ،  
 ولتستوى ملكة على عرش من أقدت الرجال ذوى العيون الخضراء ، الذين  
 تحوهم أحضاني كل ليلة . هؤلاء الذين يفتهم البحر ، البحر المتأني الأطراف  
 ذو اللجة المصطنعة الخضراء ، والمكان الذى لن يفسوه ، والمرأة التى لن  
 يهتوا إليها ، وأزهار الشر المتوقدة ككامر كاهن مجهول ، والعطور المثيرة  
 المستبدة بالنراز ، والوحوش الضارية التى ترمز شهورها المشبوبة إلى حماقة  
 هؤلاء المساكين .

« والآن ... أيتها الصبية اللعينة العزيرة المشوبة ، ذلك ما يدغنى لأن  
 أجنو على قدميك متلساً فيك صورة الآلهة المروعة ، ربة الأرباب القاضية ،  
 ظنر السموم لكل صرعى القصر من بنى البشر . . . . .

وقد انفراد بودلير من - غير شك - بصور كلها رعب وفزع ، وأسلوب  
 عنيف ، وتعبيرات توصف بالقبح أحياناً ، ولكن الرجل كان صادقاً ، بل  
 إن معجزته هى تلك الصور والأساليب الشاذة العنيفة ؛ وفى هذه التوافه التى  
 أقامها من ذات كلماته ، يدور لنا الفن أعظم ما يكون طراقة وإبداعاً ،  
 وأدق وأصدق ، لامن حيث التعبير فقط ، بل من حيث الفكرة أو المحس  
 الذى نقل عنه أو تأثر به .

وكان هذا الشفوذ الذى تفرّد به فى زمانه يتمثل فى إلهة جمال سوداء « Black Venus » ، أحبا وآثرها على سميتها البيضاء ! امرأة ذات جسد معتل سقيم ملأت البثور أديمه يتخلّج فى ثوب مهلهل خَلِيق ؛ ولقد تقرب منها بودليز تقرب العابد ، وكان يرى فيها فتنة ونعمة ساعة يوسد رأسه المتقل بجحالات الآفيون بين نهديها الطودين ، موارباً وجهه فى حلكتهما عن آفاق النور .  
ومن هذا الجسد الخالك ، ومن أزهار الشر السوداء ، استمد بودليز هذه الأفكار القائمة المضطربة ، وصاغ هذه الأشعار المثالية التى وصفها « جوتيه » بأنها تلعب كالرخام الأسود ؛

وللى نشأة بودليز ترتدّ هذه الميول الشاذة ؛ قد كان على شيء من الثراء الملحوظ الذى يتيح للشاعر أن يكرس أوقاته للشعر والفن ، ولكن ذلك طوّح به إلى عالم من الرغبات المجهولة التى تطلق أحلامها وترسم أطيافها فى دخان ذلك النبات الشرقى ، وعطر المناطق الحارة فى جزائر المحيط الهندى ، حيث ينمو هذا النبات ، ويضوع طيبه ، وتسطع المجامر يخوره الفواح ونكهته المخدرة ؛ وكانت رحلة بودليز إلى تلك الجزائر فى مطلع شاعريته وصباه الأول ، فعاد منها وهو القائل : « إن روحى تسبح فى دخان تلك العطور كما تسبح أرواح الرجال فى أنغام الموسيقى » .

ويقول بعض الرواة إنه تمى لو يقنع جسده فى عصير هذا النبات وعطره المسكر .

ومن هذه العوالم الغريبة المخوطة بالأسرار جاء بودليز بفنه الغريب الذى طغى على فنون أخرى من الأدب الفرنسى ؛

فقد ولد بودليز فى باريس عام ١٨٢١ وتوفى عام ١٨٦٧ ، وفى عام ١٨٤٠ كان هناك جيل من الشعراء الأفذاذ الذين أثرت مذاهبهم الشعرية فى



ألفونس دى لاسرتين

اتجاهات الادب الاوروبى ، وكان هذا الجيل يتمثل فى لاسرتين ، موسىه ، فينى ، ففى ذلك الوقت الذى كانت تلعب فيه أسماء هؤلاء الاعلام ، وتخطف بلباعها الانظار ، كان بودلير صبيّاً فى التاسعة عشرة من عمره يقرض الشعر ، وكان ليكون دى ليل زعيم البارناسيين فى العشرين من عمره ، ولم يكن مالارمى معلم الرمزى قد ولد بعد ؛ وكان الجيل يصفى الى هذه الاصوات العذبة الشجيّة المرتلة كأناشيد الساء فى تأملات لاسرتين وفى قصائده :

الخريف ، ونبع الغابة ، والبحيرة ، التى ترجمناها شعراً فى ديوان الملاح التائه ، وكان الجيل مأخوذاً بهذه الروح الشاذية الحائرة الواهة التى تفيض من ليالى موسىه ومن قصائده : فى التذكار ، وفيڤنسيا وغيرها ؛ وكانت قصائد



ألفرد دى موسىه

ألفرد دى فينى فى سيمثا Symètha ، وباريس ، وبيت الراعى التى ترجمناها فى غير هذا المكان ، قد رفعت إلى عالم الشعر مثاليات من الرمزى الرقيقة والمصانق الدقيقة والاخيلة الفاتنة والموسيقى العالية .

فهذا الجيل الذى تأثر وأعجب وقتن بهذه الصور المشرقة السمحة الوداعة هو الذى عاد فأعجب بالصور البودليرية التى تشبُّ بأوار الجسد ، وتقوح بأزهار الشر ، وتلعب كالرخام الأسود !

وهذا سر بودلير وفنه الذى يقف به وحده فى تاريخ الشعر الحديث .

ففي مدى سنتين من عام ١٨٥٥ كان اسمه حديث الخاصة والعامة وكانت  
حماكته على بعض قصائد ديوانه « أزهار الشر » قد مهدت لهذه الشهرة ؛  
لقد كان لدى بودلير وَرَعٌ الإنسانى ورقّة الحُجُر . ولكنه أراد تحويل  
الطبيعة التي لا تتحول . فلم يجدت من حجة للكمال البشرى أو النيل القطرى .  
وهنا يقول أرثر : « وهناك أزعنة في التاريخ ، عند ما يجبو لب الصباح  
المضى . . . وتتخذ وقد الظهيرة القاطنة ، فإن المأساة لا تنهب بعيدة عنا ، ولا تمضى  
عائنة في الأرض . وحينما ينطلق مرتعاً كرم الروح الاصيل ، وتردد عيون  
الزجال في أغوار النفوس ، وفي ظلال الأشباح النامضة ، وفي الندامة  
والسخرية ، والتشاؤم والألم ، فتند هذه قد يصل الفن إلى أمثل صورهِ ،  
وقد لا يكون من ندحة عن اكتساح الخط الكلاسيكي بعنف ، والسمو إلى  
صناعة رفيعة ، وقالب متجاوب بالاحاسيس ، ليكون مع بعض إيضاح  
بسيط تعبيراً صادقاً متاثلاً بالأمانة والحساسة . »

ولكن بودلير وضع نفسه يده في موقف الاتهام . وليس من رحمة  
ولا شفقة . ولم تكن هزة الاتهام لتنفذ من سياج شخصيته ، المتحركة  
دائماً في رحاب حياته ، وإن تركت حياته بعد ذلك حلقات غير متصلة ، وكانت  
قسوة محاكته ، وقد بلغت أقصاها ، واحدة من أسباب عزله الابدية .

فالذين قرأوا لبودلير ، ولم يقفوا على تلك العوامل التي اكتفت طريق  
حياته لا بد وأن يجرهم تيار اتهامه القاسى .

وأرى من البت البقاع عن بودلير كما أن من السخرية القول انه لم يكن  
واقفاً في الخطيئة أو متصلاً بها اتصال هؤلاء الذين لا تشرم الطبيعة  
بفضيلة الإيمان ، قد قضى حياته مخلصاً لمناسك شهواته ، وفي ذلك يقول  
أرثر سيمونس : « إن في شعر بودلير إحاطة واسعة عميقة لقرود الشعور واحتياج الحس

وضلال الميل الجنسي ، فيها شيء عجيب يضخم من صوت الرذيلة المكتتفة بالرعب  
وفها شيء عجيب آخر عن حماسه في عبادة شهواته ! ،

« لقد عاش وحيداً ومات وحيداً ، يحوطه النموض : معترفاً بخطاياہ الى  
لم يقل عنها كل الحقيقة ، متغانياً في شهواته ، وفي الماخور ، منسكاً الاثيم . ،  
ويقول بعض النقاد ان بودلير كان ضحية المرأة ، ويقول آخرون إنه  
كان ضحية الافيون والحشيش ، ولكن الذي لامراء فيه ان هذا الشاعر المسكين  
كان يحب المرأة ولكنها لم تكن تحبه ، وإنه كان ينفذ الخطوة عند النساء  
ولكنه كان يسمي الحظ لدين ، وهذا مادفع به الى تحديق بالشر والكثود  
حتى أصبح يرى في الشيطان المثل الاعلا للجمال ! بل ان هذا مادفع به الى  
هذه المواخير التي تمضغ بشهوات الأجساد البشرية وإلى هذه الأوكار المظلة  
التي يتهاك فيها المتعبدون الذين يسترقون أنفاسهم من عطر هذا النبات الشرقى !  
ولقد كان الرجل الملق بالحياة ، وأعظم اجتراء بنارها ، وأبصر عيناً  
بدنسها ، فلا غرو ، وقد آثر الصدق والأمانة ، إن عبر لنا عن شعوره بالواقع  
وإن أفرط في ذلك كنتيجة لتأثره السريع ، ولكن بودلير الذي يبدو إباحياً  
مصرفاً في إباحيته ، لا يكاد ينصرف إلى نفسه ، حتى يذكر الموت ، ونهاية  
الإنسان المحزنة ، فيصف لك دموع الميت حينما تطن الأرض قلبه وتعبث  
برفاته أقدام العابرين ، وهو لا ينسى الديدان وهي تهش أديم الجسد البشري ،  
فيحس لها وخزاً كوخزات ضمير يؤنب صاحبه ، فانظر إلى مايقول بودلير  
في قصيدة عنوانها « ندامة بعد الموت » :

« عند ماترقد ياطيف جمال القاتم ، تحت تمثال من الرخام الأسود ،  
في كهف مخدعك الرطب ، تحت قبو ذلك المأوى ، وعند مايمصر الحجر الكبير  
بقله المروع جوانب صدرك ، هنالك في خفة حلة بهجة سيكشف ذلك القلب

عن ضرباته ورغائبه ، وستقف هذه الأقدام المتقحمة المغامرة عن عدوها .  
وهنا - سيهس هذا القلب أو القبر - الذي ساهمني هواجى وأنا مستغرق  
في شروى الأزل طيلة تلك الليالي :

« لمن وقع هذه الخطى ٤١ ، « من أنت أينما الأقدام الفاجرة ٤٢ أنت  
التي لم تعرفي بعد ماهى دموع الموق ٤١ »

وكوخزات تأنيب الضمير ستمضى الديدان في التهام جسدك .....  
وهل هناك شيء أروع من دموع الموق ٤١ وهل هناك من ألوان الألم  
ما هو أشد وأفسى من وخزات الضمير ٤١ إن في أمثال هذه الخواطر  
ما ينفي عن بودلير صفة الإيمان بالشر ، فهو لم يكن إلا مدفوعاً بعوامل  
الحياة ، وتحت عب آلامه إلى تصوير هذه القطائع : وهذا ما يتفق ورجل  
يتألم للوقت ، لالان أقداماً فاجرة تطأ رفاتهم ، كما يقول المعرى فيلسوف  
شعراء العرب .

خفف الوطنى ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد  
ولكن لأن ذرات أجسادهم تكى بدموع قلوبهم .....  
وإذن فلا موضع لهذا الاعتبار ، فهما كان تمرد بودلير مستمداً من فلسفة  
عقلية غير سليمة ، ومهما كان شذوذه مستمداً من ذات حياته ، فلا يمكننا  
إلا التسليم بأنه رفع إلى الأدب أسى صور الخيال والفكر وأنه رفعها باقتناع  
لأنها في جوهرها ثبتت شجاعته وإخلاصه الرفيع لفته . فلم ينحط إلى التجارب  
الفجة ، ولم يسف إلى اللاهنية العامة باسم التجديد .

وأخيراً فان بودلير قد استطاع أن يطبع بطابع لا يمحى كل شيء يصفاء مشتع  
بالنور ، وبساطة تامة . وتخلص رشيقي ، في عبارات كلها صدق وكلها جمال ، غير  
مقيد بظك المهرطقة الشلاء ، ففكرة الفن عند بودلير ، هي فكرة الصبايل والمهارة ..



وعندى أن «الكوك» قد أحاط بذلك كله حين يقول «وهكذا الدنيا التي خلقها بودلير ، دنيا حائلة بالجمال ، وروح الزمراء المرتفة عن العاطفة ما تراوح بها طغياتها بين الحيرة والضيق ... إن حقوق بودلير في الصور الشعرية قد أغناه عن تلبس شواهد حية على مذهبه العلى، وعما يدخل في وحدة الفن من الصورة والصوت واللون والرائحة ، فقائيسه عطرية الشذى ، فطرية اللون ، ولقياحه الموسيقى يترجم دائماً عن أصدااء مزاجه الشعرى ، أما أسلوبه قد تحول حتى لشئى واخفاً ، بسيطاً ، رائماً» .

لقد كان بودلير قناتاً صادقاً ، طموحاً ، محباً للجمال . وعلى العكس مما يرى الكثيرون فإنه باندفاعه المحزون في تلويث الجمال الأرضى، وردّه كل أشى امرأة عاهرة ، قد أفضى عاطفته المكرسة لعبادة الجمال المطلق .

ولكنه غامر وكابد كثيراً في نشدان حرية الفكر ، من حيث هى حرية الفن ، وليس لنا إلا أن نمثل قوله :

« وسأظل دائماً وربما إلى الأبد - كذئب وقع في كين - أنب إلى قبة المثل الأعلى..... »



## في الأدب الإنجليزي الحديث

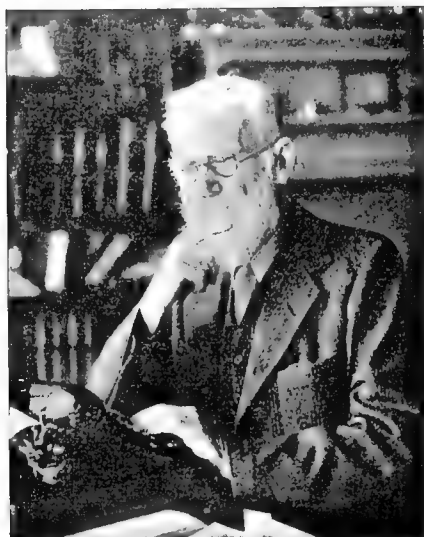
من رسائل الكاتبة "ريكا وست"

الكاتبة ريكا وست Redeca West من أشهر الأدبيات في هذا العصر ، وقد  
كتبت في كبريات المجلات والمصنف الإنجليزية والأمريكية في شئون السياسة والأدب ، ومن  
مؤلفاتها : هنري جيبس ، عودة الجندي ، سباح وغراف ، والصوت الأجنس وسانت أوجستين

ملك ناصية الأدب الإنجليزي قبل الحرب العالمية الماضية ككتاب أعلام لم يبق  
منهم بيتنا اليوم غير رجلين هما برناردشو وهيرت جورج ويلز .

وإذا كان أولهما قد ناهز الرابعة والثمانين من عمره ، ولم يعد ينفخا  
كمادته بقصصه الموسوم بالتقدير الفائق ، فإنه ما يزال يمتنا بأجل مواهبه  
المستمدة من طبيعته البالغة التأثير ، ومرحه الساخر الذي أحله منزلة شعبية  
مرموقة يتناهى عندهما الطموح ، ولنا نلنس في أطواء نفسه شعور الآباء  
الذي يبتجج به القرويون ، وأرق الميول الإنسانية التي يحتفل بها المزارعون  
وهم يروون الشعر ويحدثون عن الشعراء .

فساتقو السيارات في لندن ، وباتمو الورد ، يعرفون هذا الشيخ الأديب  
بلحيته البيضاء ، وقامته المديدة ، وسمته العجيب ، وهو يذرع الشوارع والطرق  
بخطاه الواسعة ؛ وهذه الصحف والمجلات تتسابق إلى التقاط عبارة من آخر  
دعاباته وتنافس في نقل إحدى نواذره وفكاهاته ، ومن عجب أن يغلو هذا  
الشيخ المسن في تهكمه حتى ليتدفق على الناشئة والأيفاع بالروح الساخر الذي  
تعودوا هم أن يلدعوا به من يكبرونهم من الكهول والشيخوخة .





وبهذا استطاع « شو » أن يبرز من الإعجاب به ، وحدة من حياتنا الشعبية قلما يستطيع تحقيقها في جماهير مختلفي الأمزجة والأطوار كالذين تزخر بهم كبريات المدن .

أما ويلز فمع أنه تجاوز الثالثة والسبعين من عمره إلا أنه لا يزال مرهوق الأثر ، ملحوظاً بالاعتبار والتقدير . وفي مثل هذه السن نواجه رجلاً رصيناً راسخاً ، محباً للعراك ، حاد الطبع ، خصباً ، متدفق الحيوية ، كأنما هو في منتصف العمر الذي بلغه اليوم ، وهو فوق ذلك دؤوب لا يكل ولا يمل . كأنه قولتير إنجليزى ، مع بعض



متناقضات لطيفة تحبه إلينا وتجعله أثيراً بإعجابنا . ومع أن ثورته هذه لاختط واضحة لها ، ولا شرح لمذهبها ، إلا أنه كصالح إجتاعى ، لا يتردد في رفع عقيرته بالدعوة إلى اضطراح القديم وتخلصنا من عيوب التشبث به ، والمتاخة عنه .

وهو يستحثنا في الوقت نفسه إلى تنظيم مستقبلنا

هربرت جورج ويلز

على ضوء العلم الهادى الواضح ، ولكن حين نختلف في رأى معه ، فإنه يندفع في المعترك بروح سام مشرب بالفن اندفاعاً يناقض الروح العلمى الذى يدعونا إلى اتباعه .

ولم يكن هناك خلال الحرب الماضية من طراز دينك العليين الذين أسلفنا القول عنهما غير رجل واحد هو « وليم سومرست موم

؛ Willeam Somerest Maugham

فنحن هنا إزاء رجل آخر يرجع جلاء قريحته وطبعه المصقول إلى العمل الذى أحبه وآثره ، وإلى المنطق الذى استمدته من طوارىء حياته ، كما يرجع

فى ذلك أيضاً إلى عائلة إنجليزية امتدت أصولها منذ أجيال بعيدة إلى أرض فرنسية ، حيث كان قد أرسل به صغيراً إليها عقب وفاة أمه ، ليكون فى كنف أقارب قضى سوء الطالع أن يكونوا غير متعاطفين ، ولكنه باستخفاف صبيّ ذى شعور مرهف ، مضطرم الحنين إلى وطنه ، لم يذخر جهداً فى إدخال السرور إلى منزل يهتم به جماعة من الغرباء النازحين فى أرض أجنبية ، ومنذ ذلك الحين شبّ على غرارٍ أصبىل من أرومته ، لمجل قوام أعماله الأدبية النظرُ فى حياة الإنجليز الخاصة ، وشحذَ من نظراته فى الحياة عمله كطبيب ، وقد أورثه الدم الإنجليزى المتدفق فى عروقه حب الأسفار وجوب البحار ، ولم يكن يسأم الانفراد بنفسه ، بل إن ذلك قد رزقه إيمان الفكر فى الحياة .

وفى كتابه « قصارى القول » الذى نطالع فيه تاريخ حياته ، نرى كيف مضى مطوّفاً بأبحار الإمبراطورية القاصية وكيف أنه استلهم هذه الحياة ما تهرّد به من عقل مُحلّ ، وجأش رابط ، وخلق ركين ، وقد يبدو عجيباً لاندماج مثل هذا الرجل فى بيئات الحكام ، والمستعمرين ، وأوساط الجنود والملاحين ، الذين التقى بهم فى رحلاته ، واتصل بهم خلال عمله . ولكن ذلك ما آثره من قبله الشاعر العظيم رديارد كبلنج Rudyard Kipling وعظمه بجمارة ونال منه رضى لا يحتمل تأويلاً ، ولقد كتب كبلنج عن أولئك الرجال كما عرفهم ، وصورهم بالحالة التى رآهم عليها ، أما « موم » فقد كتب عنهم بطريقة التحليلية نافذة إلى حياتهم من خلال علومه ومعارفه ، فالنرب إذن هو أن الشعب الذى قرأ لكبلنج ما كتبه عن هؤلاء الرجال وأعجب به واستساغه ، هو نفس الشعب الذى أقبل على قراءة ما كتبه موم عنهم واستساغه أيضاً ، وهذه علامة التحول فى الوضع دون أن يرجع

ذلك إلى تفاوت في الخلق ، أو قصور في العزيمة والاقدام .  
ولكن « موم » استطاع أن يخضع الإمبراطورية ، ويستبقى الإمبراطورية  
التي أحلها اهتمامه ، وحباها أعظم التقدير والتبجيل .

أجل أننا نتحول ؛ إن عقليتنا المركبة فينا قد تطورت كثيراً ، وأصبحت  
أكثر قابلية لمقابلة الجدل المحتشم ، وأعظم مرونة لمعالجة المسائل المعقدة ،  
أكثر وأعظم عما كانت عليه من قبل ، وللتدليل على ذلك نعرض لمستر بريستلي  
Priestley وأعماله الأخيرة .

فهذا مؤلف نابِه معروف للسواد الأعظم من الناس ، تبرز في سمته  
شخصية مشاكس عنيد ، أقرب في شدة مراسه إلى المزارعين الأقوياء منه  
إلى كاتب يدبج المقالات ، إنه قوى كلام ، يتكلم بنبرات كالكهرويين إذا  
هضبوا بالقول ، وهو لا يفتح فاه إلا بإشارات وإيماءات عنيفة ، متباعدة  
الأثر في سامعيه ، فلما أن تثير حقدهم عليه مدى الحياة ، أو تجعلهم  
أصدقاءه إلى الأبد .

وهو يكتب متدفقاً متمثلاً ألواناً من العظمة ، ليحصل على مكافأة أدبية ،  
أو ليدير مسرحاً ، أو ليضرب في الأرض في رقعة أقاربه المنتشرين في كل  
الأصقاع ، وقد أصاب النجاح بأمثال كتابه « الأصدقاء الاخيار The Good  
Companions » المحتفل بالرصانة والدعابة وتبسيط مبادئ الرق المأثورة عن  
تعاليم شارلو ديكنز Charles Dickens .

وقد أنشأ في الوقت الأخير رسالة مسبة بعنوان « نصف الليل في  
الصحراء » وقصتين تمثيليتين بعنوان « الوقت وآل كونواي » و « كنت  
هنا من قبل » وتصور حوادثهما على استكناه أسرار الزمن ، وهل المستقبل

موجود منذ الأزل ؟ وهل فساق إله قسراً ؟ أم نحن نصنعه بتصرفاتنا  
وأفناننا مختارين ؟ وإذا كان الزمن هو هذه اللقائف التي تطوى ؛ فهل  
لطوله نهاية ؟ أم هو غيب مستغلق ؟ أم أن الأفكار التي تمر ببالنا هي التي  
ترسمه كما يقول الفيلسوف العظيم نيتشه ؟

ومثلُّ هذا الكاتب المتميز بصفاته الجوهريّة ، ومثل سَماعه الذين يتبعونه  
بالصفيق والتليل ، صورةٌ من انجلترا الجديدة التي تبدو أبعد تأملاً في الحياة ،  
وإن دل ذلك على شيءٍ فعلى تحول جديد ، قوامه الجرأة في التعبير على  
نطاق شامل مطابق للحقيقة . ولنأخذ على سبيل التذليل اتجاه « ألدس هكسلي  
Aldous Huxley » هذا الذي يشار إليه بالبنان ويبدو حجة في كل الاتجاهات



الدس هكسلي

التي يرى إليها . إن طول قامته ستة أقدام وسبع  
بوصات ، فهو أول عملاق ينصبه التاريخ مرشداً للعقول ،  
وكان في صغره طفل معجزات فأشار إليه « مارسيل بروست  
Marcel Proust » في كتابه « البحث عن الوقت المفقود »  
كعالمٍ من أعلام الأدب الأوروبي الحديث مع أنه لم يكن  
تجاوز في ذلك الحين العشرين من عمره .

وهو مزاج من إرادة لاتين ، وعزيمة لا يخمد أوارها ، ودأب لا يخفّف  
منه احتلال صحته ، وتحزب أعين لآرائه ، وقد جعل منه كلّ أولئك أشهر  
مؤلف انجليزي معاصر ، له اتجاهاته المتشعبة في الأدب الانجليزي وإحاطاته  
المتساقطة بالأدب الفرنسي والألماني والإيطالي واللاتينية والأغريقية ، هذا إلى  
توجيه رفيع لفن القصة ، وتلك الرشاقة وخفة الروح اللتين يجرى بهما الحوار  
مع القصد في تصوير الطابع ، فهو لا مشبه له عندنا ولا ندّ له في هذا .



وينظر « المص هكسلى » فى عمله إلى مستقبل حافل بالطبائفة كأديب بارز ولكنه لا يتقنع بذلك لأنه يدرك أن من واجب الرجل الفنان أن يوجه نفسه حيث يشاء نبوغه، على أن يكون هذا التوجيه لخير المجتمع، ولذلك فقد كتب عن « الدنيا الجديدة الباسلة » فأنجز بكتابها هذا أعظم عمل فنى رفيع . ومع ما توخى فيه من البساطة والسهولة ، فقد أعدّه هجوماً على المدنية الأوروبية حاشداً فيه من ألوان الفكر والمعرفة مالم يحشده الفيلسوف « إشبجر Spengler » فى مجلديه الشهيرين .

وقد وصف فى كتابه هذا عقلية شاب أبيض ، نشأ بين قبائل السود المتوحشة ، وليس ثمة من صلة تربطه بالثقافة التى كوّنته غير أعمال شكسير الأدبية ، فاستطاع هكسلى بهذا الوضع أن يكشف عن الوحشية وعدم التعقل الشائعين فى كثير من المثل المتجاوبة بها عبارات شكسير والتى هى جزء من ثقافتنا، وعمماً فى كثير من مثنا العليا فى الحب والخطية والسلطان من آثار هذه الوحشية ؛

ولكن بوصفه دنيا جديدة ، بنيت خارج نطاق تلك القبائل وعلى تخطيط من الأساليب العقلية الخالصة ، حيث يعرف الحب بأنه تنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى من الحيوان ، وليس ثمة تعريف للخطية إلا أنها ما يؤذى المجتمع ، فقد أبان عمّا فى أعماق غرائزنا من العقم والمخافة لهذه الدنيا ، ورغم هذا فقد شقّت عبقرية هكسلى بهذا العمل اتجاهها جديداً له خطره ، حلّم به البناء الثقافى الذى نعيش فيه جيماً ، وسدّ المنفذ الوحيد المرقى لنا ، وكان من الحتم عليه إذا كان رجلاً عظيماً يمتحن ، أن يدلنا على منفذ آخر أمين نجد السلامة فيه أمراً واقعاً ملوساً .

وفى الواقع يتعين على هكسلى أن يجرّد من نفسه فى المستقبل كاتباً اجتماعياً

أكثر منه فناناً ، كما تعلق بذلك أعماله الأخيرة في رواية « ضرر في غمرة »  
Eyes in Gaza ، وفي مقاله « الغايات والوسائل Ends and Means » ، حيث  
يشر برسالته الجديدة صريحاً غلطاً أبلغ ما تكون الصراحة والإخلاص .  
وهذه الرسالة الجديدة لاختلف كثيراً عما بشر به تولستوى من قبل ،  
أى أن الانسان لا يستطيع أن ينقذ نفسه إلا بالتقشف والنسك والتحرر من  
الغرائب السفلية الوضيعة ؛ وليس يبعد أن يتاح لنا في حياتنا شهود هذا  
الطور الجديد متفرداً بشخصيته الهامة التي تفرد بها تولستوى .  
وقد أثبتت عبقرية هكسلى بهذا العمل الذى استرعى كل انتباه أنه يعد بحق  
سليل العلامة هكسلى الكبير . صديق داروين وحواريه ، وأنه نشأ على غرار  
مشرباً بجماليات الأدبية .

وقد نرى في كتاب كثيرين آخرين من الانجليز ما يثبت أنهم مضوا في ذات  
البحث عن تعليل الوحي والوصول إلى مصدر من وراء العقل يُمكنهم من  
كشف أسرار الحياة ، ولقد أثر ذلك في بعض اللامعين من الناشئة فأحلوا بالمعتقدات  
الكاثوليكية التي آثروها عند الكاتب القصصى « إلفين وف » Evelyn Waugh ،  
في رواياته « التل والسقوط » و « قبضة من التراب » و « الأجسام الخسيسة »  
التي يذم فيها المجتمع الذى قام بعد الحرب ويقدم فيه ، بما أبدعته عقله وبما  
رُزقه من الثروة المالية ، وكما فعل « جراهام جرين » Graham Green ، الذى  
برهن بروايته « بندقية البيع » على أنه من أعظم كتاب الأقصوصة الموهوبين ،  
أصحاب الشعور المزهق كما كان ويلز في صباه ، وكذلك كوزاد وكبلنج أيام  
كانا من رواة الأقاصيص .

وإذا نظرنا خارج الكنيسة فانا نرى شارلس مورجان Charles Morgan  
الذى حاز نجاحاً باهراً وتفوقاً منقطع النظير بقصته « اليبوع » فسجل بها فصلاً

جديداً في دراسة مثل العليا للتصوف ، وكذلك « ناومي ميتشيسون Naomi Mitchison » ، الكاتبة القاصة التي اتخذت من المخلفات القديمة أو التراث الكلاسيكي مادة لروايات أشرب فيها العلم بنار البشرية المشبوبة ؛ وقد عملت مع « جيرالد هيرد Gerald Heard » الاخصائي في علم الاجتماع لإيجاد قاعدة دينية جديدة تلائم عصرنا هذا ، وكانت ميتشيسون إلى جانب ذلك من السياسيات المهيجات اللاتي يتلاعبن بالعواطف ؛ وما أكثر أولئك الذين أدى بهم بحجمهم عن مصدر الوحي وتعليله لا إلى تغيير معتقداتهم الدينية بل معتقداتهم السياسية ؛ ومنهم شعراء الشباب أمثال « سيسيل داي لويس Cecil Day Lewis » ، « وستيفن سبندر Stephen Spender » ، و « دى . ه . أودن W. H. Auden » ، الذين يعنون بصقل أشعارهم وتصفيها لتجد وتخلد بجمالها الموهوب وليس بالوخرف المجلوب ؛ و « فورستر E. M. Forster » ، الذي بقى أرق كتاب القصة وأغزرها شاعرية ، و « رالف باتز Ralph Bates » ، الذي أخرج النفس من القصص القوي المؤثر عن حركات العمال في أوروبا بقلم ناقد مرهف الحس ، ومؤرخ موسيقى ، وكذلك « رالف فوكس Ralf Fox » ، واضع تاريخ حياة جنكينز خان ، و « فيرجينيا وولف Virginia Woolf » ، الكاتبة العظيمة التي أصابت نجاحاً شعبياً كبيراً بروايتها « الاعوام » ، التي رسمت فيها تدرج البخوت من الصبا إلى مختلف أطوار العمر في جيل كامل !

ولئن أصاب التحول والتغير كل شيء في مضطرب هذه التيارات فقد بقى شيء واحد لا يتحول ولا يتغير ، ذلك هو معدن إنجلترا وعصرها .

فحين تنجب الإعلام بنير ماضٍ أو منّ ، وتطلعون مشاهدين لأولئك الذين كانوا موضع البهاة في أيام سابقة ، أيام كانت لنا كل المعارف ، وكانت عظمتنا سافرة لا ترقى إليها شائبة .

ولقد أنجبنا أيضاً المحسنين النافسين من رجال البيوتات الذين تلقبهم  
بالارستقراطيين، ومع ما يؤودهم من أثقال الخدمات العامة وما يحوطهم من  
المخزيات الشتى، وصنوف العبث واللغو، ومع أنهم لم تُهَيَّأ لهم الفرص ليرزوا  
في مجال الأدب والفن، فقد أقبل بعضهم على عمله إقباله على لونه بكل ماهياته له  
الطبيعة من مزاج، وأعدته له مواهبه الفنية، فاجتمع لنا في كتبهم وخطبهم  
ورسائلهم لون نفيس من الأدب تتجلى فيه القطة والنور الرفيع .  
ولقد أعطوا في كل ما أنشأوا من الكلمات والأساليب، وصوروا من المعاني  
والأخيلة، الدليل على أن روح الجود لم تكن من تقاليدنا في يوم من الأيام .



## القُصْرَة

للشاعر الانجليزى "بيرسى بيش شيلى"

ولد هذا المبقرى عام ١٧٩٢ ومات غرباً فى ليجهورن بايطاليا عام ١٨٢٢ ، وإن الثلاثين عاماً التى عاشها لتتضائل أمام نضجه الفنى وانتاجه الغزير الحافل بأسمى النماذج الشعرية فى قصائده الرائعة .  
ويعد بحق الشاعر الفرد الذى يتقدم وحده الشعراء نوابغ الانعام فى جميع الاجيال حتى اليوم .



ويتفرد شعره بهذه الموسيقى المرحمة الطلقة الصافية التى توصف بالقيثارة التى ايقظت اعذب الانعام فى قلب الحياة والتى انتزعت الرقة والحلاوة من جفاء الزمن وقساوته ، ولكن المدرسة الحديثة تعتبره اعظم الشعراء المتصوفة فى الانجليزية بعد ولهم بليك .

وقصائده الثلاث فى السعادة ، والرياح الغربية ، والقبره ، من أشهر الغنائيات فى عالم الشعر

ولما كانت القصيدة الاخيرة من احفلها بصور الخيال والجمال التى لا مثبه لها فقد آثرت نقلها الى العربية غير مجترى . على معانى الشاعر وافكاره وسياقه الشعرى .  
من الخلف بل مضيئاً ما يقتضيه أظهار للشعر من المعنى

وببسيط المركب من الخيال مراعيّاً فى التعبير عن الاصل الانجليزى ما توحى به مقتضيات البيان الشعرى العربى . واجمعاً ما يمكن بين الاثنين .

يا أيها الرُّوحُ يهفو حوله الفرحُ  
من أمة الطير هذا اللحنُ ما سمِعتُ  
أنت الذى من سماء الروح منهله  
يفيضُ قلبك ألحاناً يُسلسلها  
تحيةً أهنأُ الصادحُ المرحُ  
بمثله الأرضُ ، لارضُ ولا صدحُ  
نحرُ إلهية لم تحوها قدحُ  
فَنُ طليقٌ من الوجدان منسرحُ

وعالياً ، عالياً ، لآزلك منطلقاً عن الثرى ؛ تَصِلُ الآفاقَ آماداً  
 مثل السحابة من ناره ، مُسْعِرَةً ؛ والبرق مؤتلفاً ؛ والنجم وقاداً  
 يهفو جناحك في أعماق زرقها وأنت تضرب في الآفاق مرتاداً  
 تشدو قمتين في أجواها صعداً فَأَنْ عُلَوَّتْ بِهَا أَمَعْتَ إِنْشَاداً

...

وما نَجَّ دَعْيُ التُّورِ قد غرقت في ذَوْبِهِ الشمسُ صَبْرَ الْعَالَمِ الثاني  
 توهج السحب البيضاء حرته فتستحيل عليها ذات ألوان  
 أشعة ذات أمواج غلوت بها تطفو وترسب في لججها الثاني  
 كأنما أنت جذلاً نأ تراوحنا روح من الطرب العلوى نوراني

...

تنوب حولك إماماً طرقت في أفقر غلالة الأرجوان الشاحب الساجي  
 كنجم في سماء الليل خافتة تنوب في فلق الصبح وهاج  
 يامن تطربني الحسان غبطته وما رأيت له طيفاً بمراج  
 ألا أراك فإني سامع نثماً يهفو إلّ ياطراب وإبهاج

...

وصاعداً في مضاء السهم أرسله قوس من الكوكب الفضى منزعه  
 ينأى فيخبر رويداً وهج شعلة حتى يلاقي كأن الفجر يتبعه  
 وزسل العين نزعاه هنا وهنا وما بين لنا من أين مطلعه !  
 حتى إذا عزنا المرأى وأجهدنا دلّ الشعر على أن ذاك موضعه !!

هذى السماء بموسيقاك ماثجةً والأرضُ يغمرها من صوتك الطربُ  
وصفحةُ الليلُ أصقَى ما يكون سوى غمامةٍ خلقتها وحدها السحبُ  
وقد بدا القمرُ الوضاحُ يُطررها إرسالُ ضوءٍ على الآفاق تنسكبُ  
يرى السمواتِ سيلٌ من أشعتها تكاد تسبحُ في طوفانه الشهبُ

...

من أنت يا من يحوب الليل منفرداً ولم هج لي عليه بعد عيتان ؟  
أى الخليفة قل لي هل أنت تشبه وأياها منك في أوصافه داني ؟  
وهذه السحبُ أصباغاً مشككةً في رائع من فريد اللون فتان  
لا ينزل الفيتُ منها مثلاً نزلت شئ أغانيك في سحري الخان !

...

كشاعرٍ في سماء الفكر محببٍ دلَّ الوجودَ عليه لحنة العال  
الخان أغنية أسمى يرتلها كرسله من نشيد الخلد سيال  
أسكنَ بالعالم السالى خواجه حتى استحال شجوناً قلبه الحقال  
بعثَ من ألهم فيه ومن أمله ما لم يكن منه في يوم على بال

...

كان حوريةً في ظلِّ شاهقة من البروج قضى العيش في خلج  
لم يُغمض النومُ عينها ولا خمدت نيرانُ قلب لها في لجمة الغلس  
باتت تطفُف آلاماً تساورها في عزلة بنشيد ساحر الجرس  
تطوفُ الخانُ موسيقاهُ مغلغها كأنه الحبُّ في إيقاعه السلس

كَأَنَّ بَيْنَ الرُّيَا تَفْتَحَ خَمَائِلَهَا • فَرَّاشَةٌ مِنْ سَيْكِ التَّيْرِ كَجَلَوَاءِ  
يَاحْسَنَ أَجْنَحَةٍ مِنْهَا مِنْهَجٍ قَدْ رَقَشْتَهَا مِنَ الْأَسْحَابِ أُنْدَاءِ  
تُزَيِّرُ السَّمَاءَ صَفَاءً فَهِيَ إِنْ خَطَرَتْ فَلَسَاءُ بِهِذَا اللَّوْنِ إِغْرَاءِ  
تَجْلُو الْأَزْهَارَ وَالْأَعْشَابَ طَلْعُهَا إِذَا بَدَتْ وَلَهَا فِيهِنَّ إِخْفَاءُ

...

كَزْهَرَةِ الْحَقْلِ فِي غِيَاةِ سِرْحَتِهَا لَمْ يَمَلَأِ النُّورُ مِنْ أَجْفَانِهَا حَدَقًا  
حَتَّى إِذَا لَتَحَتْهَا الرِّيحُ هَاجِرَةً زَكَّتْ وَأَرَبَّتْ عَلَى أَمْلُودِهَا وَرَقًا  
وَأَرْجَحَ الْحَقْلَ مِنْ أَقْصَا عَيْقٍ يَشْوُقُ كُلَّ جَنَاحٍ نَحْوَهَا خَفَقًا  
تَهْوُو إِلَيْهَا مِنَ الْإِنْسَامِ أَجْنَحَةٌ مِنْ كُلِّ مُنْطَلِقٍ مِنْ عَطْرِهَا سِرْقًا

...

وَوَقَعَ لَحْنُكَ فِي الْأَصْحَارِ أَرْخَمَ مِنْ وَفَعِ النَّدَى فَوْقَ أَعْشَابِ الْبَسَامِينِ  
قَدْ قَطَعَ الزَّهْرَ الْمُنْضَوْرَ سِلْسِلُهُ وَجَادَ بِالْهَلَلِ أَفْوَافَ الرِّيحِ  
يَأْمُنُ عَلَى صَوْتِهِ فِي الْآفَاقِ مَنْسَجِمًا تَصْغُرُ الْأَزْهَارُ فِي أَفْئَانِهَا الْغَيْنِ  
كُلُّ الْبِدَائِعِ مِمَّا أَقْنَّ مَبْدُعُهَا لَمْ تُعَدِّ لَحْنُكَ فِي صَوْغِهِ وَتَلْجِينِ

...

قُلْ لِي أَمِنْ مَلَكُوتِ الرُّوحِ مُنْطَلِقٌ أَمْ طَائِرُ أَنتِ فِي الْآفَاقِ هَيَّانُ ؟  
أَيُّ الْخَوَاطِرِ مِنْ حَسَنِ وَمِنْ هَجٍ يَشِيْعُهَا مِنْكَ فِي الْأَرْوَاحِ وَجِدَانُ ؟  
لَمْ تَشْرَبْ قُلُوبٌ مِنْ أَضَالِهَا لَغَيْرِ صَوْتِكَ أَوْ تَصَبَّ آذَانُ  
حَدِيثُ حَبْرٍ وَخَمْرٍ بَاتَ يَسْكُبُهُ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ أَنْعَامُ وَالْحَيَّانُ !!



من أين تلك الأغاني أنت ترسلها ؟ من أى مطرد اليبوع منجم ؟  
 من أى نائفة الأمواج زاحقة ؟ وأى تلك المروج العذبة النسم ؟  
 من أى ضاحية الآفاق صاحبة ؟ أى السهولة والأغوار والقسم ؟  
 وأى حب اليف منك أو وطنه ؟ وأى جهل لما نلقاه من ألم ؟

...

وفى منامك والآفاق حالمة وفى انتباهك والظلمات إصغاء  
 لأبد من نبأ للبوت تعرفه وفى فؤادك عنه اليوم أشياء  
 لانت أعنى فكراً فى حقائقه بما زراه ونحن اليوم أحياء  
 أولاً فكيف انسجام اللحن مضطرباً يجريه من رائق البلور لالاء ؟

...

إننا فكر فى ماضٍ بلا أثرٍ ومقبل من حياةٍ كلها غيبُ  
 ومستحيل من نرجى برق ديمته وكل ما نرجيه منه غلبُ  
 وكم لنا ضحكاتٍ غير صادقة مالم يشب صفوها التبرع والوصبُ  
 وإن أشهى الأغاني فى سامعنا ماسال وهو حزين اللحن مكتئبُ !

...

هنا على رغم هذا ليس يجمعا بالحقد أو كبرياء النفس أوهاقُ  
 فلا القلوب لدى البأساء جازعة ولا بهن إذا روعن إشفاقُ  
 وأتانا قد درجنا فى خليقتنا بلا دموع تذيبن آماقُ  
 فكيف كنا إذا نلقاك فى فرحٍ ! أو ينمر الروح لحن منك رقائق ؟ !

يا أعذب الطير موسيقى وأروعها      من كلِّ رائق أنعام وألحانٍ  
ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعت      قائلُ الكتب من دُرِّ تيانٍ  
ياما أحقَّ اقتداراً منك قدرتهُ      بشاعرٍ لبقٍ التصويرِ فتانٍ  
أنت المبرأُ في حبٍّ وعاطقةٍ      يامن تعاليتَ عن أرضِ وإنسانٍ

...

أما تُعلمني مما يفيضُ به      غناؤك العذبُ تطراباً وتحناناً !  
ذاك الجنونُ الذي يهدى تواقهُ      إلى من صدحات الخلد ألحاناً !  
ألسنٌ تلهمني وحيّاً يفيضُ به      هي ، فأملأُ قلبَ الكونِ إيماناً !  
أشدو فيلقى إلى الكونِ مسمعهُ      يصني إلى كما أصنى لك الآناً !



## الشاعر وكاتبه

للشاعرة الأمريكية أدنا ويتسث ويلاي

إلى الوراثة أيها الموت ؛ إلى وجعك أيها المتلون الخالد ؛ إلى استرق  
أفهامي من جذور هذا النبات ؛ أنشِبْ برائك ماشئت ، واستر كل ما فيك  
من قوة ، فستجهد كثيراً ، وستضيق بضجرك ليالي طويلة ، وستطمر كثيراً  
من العظام قبل أن تسحق عظمتاً واحدة من هيكل الرقيق .

ومنى يدركني الموت ؟ ومنى يحل في القناء ؟

أعند ما يشيع الذبول في هذا الجسد ، ويطفُ نبات الأرض هذا الرأس  
بصفائره الصفراء ؟ أعند ما يقف الشاق يصجون مني ويتسالمون عني ، من أكون ؟  
أنا ذلك الراقدة تحت أطباق الثرى محتجبة عن ضوء القمر ؟

أهذا فناء الأبدي أيها الموت ؟ أعند ما يقف هذا القلب عن خفقانه فلا

يردد شيئاً ولا يصعد زفيراً ؟

أبهذه النهاية المهينة تلاشي روحي أيها الموت ؟

آه .. عند ما يذوب ثلج الشتاء ، أيها الأصدقاء ، ويساقط ذوبه الرغام

والهشيم فلا تبكوا علي ، ولا تدبوني يارفاق ..

ليس في شيء من هذا معنى من معاني فناء ... بل تحققوا موتي الخالد ،

في تلك الساعة التي لا يجد كتابي قارئاً له ... ساعة تنقضي الأرض ويطويها  
الخنول ويحجب النسيان ، فلا يضمه صدر ، ولا ترقع له صحيفة معجب بالشيء .

الذى لم يرو بعد ، هذا الذى تطوى عليه صحافته ...  
وعند ما تُرثُ كثرة العرض نسخة من أكداسه ، فلا تجد من عرض  
الناس شارباً بعد طول انتظار ، يتقدها الثمن البض ، ويأخذها صفقة غبن .  
وعند ما تلقى أكراماً مهمة مركومة فى طريق قدر . تطلعه المجلات  
العابرة بالوحل والدنس .

أيها المعجب ... قف قليلا وانظر خلال غبار القرون ، وتناول هذا الكتاب  
ثم قلب صفحاته المهلهلة بيد رفيقة ؛ أقرأنى ولا تكلنى اللوت !  
تقص هذه الرسائل الذابلة ، والمس المناعة فى هذا الغلاف الحزين ، تجدى  
ملء قلبك وسمعك ، قد كنت يوماً ذات هذا الكتاب !

عند ما تحول هذه الشرايين أليافاً فى جسم الأرض ، فانظر إلى هذين  
المحجرين القائرين ، تحت هذا الحب النامى المستوفى لمودة الريح ، وهو يخترقهما  
بحنوره المنطقة إنطلاق التياذك المنقصة ، واشهد هذه المروق الوردية ،  
وهى تهوى إلى قوارة هذا الأصبى الأسود [بمعنى جمته] ثم تفتل لتصوب  
صعداً كأنما تنسم المطر !

أيها الصية ... أيتها الصبايا ، إذا ، استقيمت تحت هذا السياج ، وأخذتم  
بأسباب التجوى ، فاذكرونى ولا تكلونى للفناء ؛ أيها الشبان ، أيتها الشابات ،  
أتم أيها المخطرون فى الغابات محققين إلى طلع الفسار الوردى ، مستغرقين  
فى البكاء والعتاب ، أمزجون بعهودكم ووعودكم .....

لا تتركونى اللوت ! أيها المزارعون الراضون تحت النيم الرقيق ، وتحت  
الشمس الثلاثة ، واذكرونى عند ما تبتون حصادكم ، وتجمعون الحب من  
من ذواتب الشجرات اليابسة ، وعند ما يلوح لفض الظهيرة القانظة ثمر الصرصاد  
فيستحيل بجنى شيئاً .

وأتم أيها الرعاة المتطلعون من أعلى التلال ، حيث المروج المحضّر وسناة  
تطم بجلجلة الأجراس ، مُرَّةً في أعناق القطيع الامعط .

وأتم أيها الملاحون ! أيها الصارخون في صخب العاصفة ، أيها الصيادون  
التأهون في صقيع الشتاء وفي مهب الجليد الأشهب .

إذكروني ولا تكلوني للوت !!

أيها الرجال ! يامن يشتهون الرقاد ، ويا من يشترون باليقظة لحظات  
من المرح ، إذا مامرت بكم أغنية قديمة ، ذات روعة وصفاء ، فذكروني !  
إنها صادرة منى ...

أيها النساء المكدودات ، أيها التلسات شيئاً من الراحة إلى أن  
يقبَل القدير ، إنزعن منى بعض السوى وخذن منى مسراتكن ؛ وأتأن أيها  
الباقيات في أعماهن حتى لا يكدرن بالبكاء نوم الرجال ، لِمَ زجني ييكاكن .  
أيها الأطفال ، أيها السارقون من ضحكات العجائز ، لتركعوا عند جِزع  
منقطع بالندى ، أو تحت طنف تزويه الأشجار العارية ، لتندردوا بأحاديث  
القداسة والحب ، وأقاصيص الأبطال والصوص ، وأساطير المردة ! إذكروني  
ولا تكلوني للوت .

إن الشمس التي تضيء في الليل ، والجبال الراسية على هذه الأودية ،  
تحملي إلى النور حيث أراوحكم وأغادكم من هذه الشرفة كهذه الطيور  
المرفقة عليها .

وأنت أيها الحاد ! امض في عملك ، اغمرني بوابله من حبك ، ثم  
تَن بهذا المول ؛ فستفطر عقود كثير من الأزهار ، وسيبدأ كثير من  
الأكاليل وضافائر الذهب ، وسأضي أنا في غنائى بيننا تظلم أنت هذه  
الأكوام صلصالاً سافياً في الأرض .



## عَوْدَةُ الْمَلَح

لشاعر العرش البريطاني "جون ماسفيلد"

يا فرحتي البحر أرجعُ ثانياً  
أَقْصَى مُنَايَ سَفِينَةُ عَشْوَةٍ  
وصريرُ دَقَّتْهَا ، وَعَزَفُ رِيَاكِ  
وَأَرَى الضَّبَابَ يَرْفُفُ فَوْقَ جَيْتِهِ  
يَحْمِلُوهُ الْأَلْقُ رَمَادَى السَّنَى  
مُتَرَدِّدًا بِمِيبَاهِ وَصَمَائِهِ  
وَبُرُوعُ نَيْمٍ أَهْتَدَى بِضِيَاهِهِ  
وَحُقُوقُ قَلْعٍ أَيْضًا فِي مَائِهِ  
فِي شَاهِبٍ مِنْ لَوْنِهِ وَرَوَائِهِ  
مُتَطَلِّعٌ بِالْفَجْرِ خَلْفَ فُضَائِهِ

\*\*\*

يا فرحتي البحر أرجعُ ثانياً  
هَذَا الْمَزْجُ ، لَسْتُ أَنْكُرُ صَوْتَهُ ،  
أَقْصَى مُنَايَ لَدَيْهِ يَوْمٌ عَاصِفٌ  
وَرَشَاشُ مَوْجٍ مُسْتَطَارٌّ تَحْتَهُ  
وَضَجِيجُ زُجْجٍ مَائِهِ مُتَخَبِّطاً  
كَمَا أَلْبِي الْمَدَّ فِي طَفَرَاتِهِ  
لَإِنَّ الْوُضُوحَ يَشِيعُ فِي نَبْرَاتِهِ  
يَهْفُو رَقِيقُ النِّيمِ فِي سِجَاهِهِ  
زَبْدٌ يَفُورُ الرِّغْوُ مِلَّةً كِرَاتِهِ  
بِالْمَوْجِ وَهُوَ يُشِيرُ مِنْ صَرَخَاتِهِ

\*\*\*

يا فرحتي البحر أرجعُ ثانياً  
أَطْلُو مَسَارِحَ طَيْرِهِ وَمَسَاجِدَ  
حَيْثُ الرِّيحُ كَأَنَّمَا وَخَزَاتُهَا  
أَقْصَى مُنَايَ رَوَايَةُ مَجْهُولَةٍ  
وَلَذِيذُ أَحْلَامِهِ وَقَدْ طَابَ الْكُرَى  
جَوَابُ آفَاقٍ ، غَرِيبَ مَسَالِكِ  
لِلْحَوْتِ عَبْرَ طَرِيقِي الْمَتَشَابِكِ  
حَدُّ الْمَدَى ، وَشِبَا الْحِسَامِ الْفَانِكِ  
مَنْ نَسَجَ قِرْصَانِي طُرُوبَ ضَاكِ  
وَتَوَايَلَتْ صُورُهُ هُنَاكَ تَوَارِكِي !!



## اغنية القطيع

من رمزيات الشاعر المعاصر "أوزيرت ميتول"

من خلال حظارتنا التي شيدناها الجبروت ، رحنا نرقب أحزان العالم في  
صمت ورباطة جأش .

لقد عرفنا الدم المهرق ، ورأينا شؤوبه وكيف يتبثق في غير ما تهدد أو  
حشرجة ؛ ورأينا ذرارينا وكيف تُلعف ويرجى سمها للخنجر المصلت في يد الناحر .  
في عيوننا الصافية ترقد كل خفايا الأبدية وتتوارى أسرار الفناء أو العدم .  
وإذ يفرق في أسماعنا ثناء الزعيم نخطر في مروح ورشاقة مجاوين  
ثناؤه ، فإن أجفل رأيتنا في أثره كوجة متدفقة من الجنون حتى يقعد به  
المثار ، وإذ ذلك تتطلع إلى زعيم جديد نسير تحت إمرته .

صاح خروف متلكم في آخر القطيع ، ولماذا ترونا هذه المجزرة  
الممجة فتسكس على أعقابنا ؟ ! . . . . .

ولكن أسراب القطيع راحت تنغو في غضب وكأنها تقول : ألا تذكر  
كيف ذهبنا بأقدام خالية من القنر ورجعنا بأدمعة فارغة ؟ ! ، إن نبل  
الصنيع يقتضينا القرار ما استطلنا إليه سيلا .

« إنا نحمي بذلك خرافاً لن تجود بثملها البطون ،  
فإذا ما أباح قطيع دمه فإن المعيز ستذكر لنا هذا القول المأثور ؟ ،  
..... لحظة ثم هوى الراعى علينا بصاه صارخاً مؤنباً  
« إلى الوراء ! إلى حظائركم أيها الحق » .



## بيتُ الرّاعي

للشاعر الفرنسي "ألفرد دي فيني"

ولد ألفرد دي فيني عام ١٧٩٧ ، ومات عام ١٨٦٣ فهو من شعراء النهضة التي وجهت الادب الفرنسي وجهات جديدة رفيعة .

ولصيدته هذه في بيت الراعي La Maison Du Berger التي أهداها إلى حبيبته « أينا » أو « مدام درفال » أو المرأة التي يعنينا ، من أروع ما أنشأه من الشعر ، وتقع في ثمانية وأربعين مقطعاً ، آثرنا ترجمة اللطاع الثمانية الأولى منها لاتقانها مع عنوان القصيدة ، ولأنها ذات موضوع طريف حائل ، يتكلم فيه الشاعر بدقة ورقة وصراحة وحطة عن القلب والروح والجسد ، وشقاء النفس الشائرة بهذا العالم الجارح ، ومدنيته الجافية القاسية ، وهو في هذه الأبيات يعبر عن حبه الأسمى للطبيعة ويجلو من براعتها وقائتها وحنانها صوراً فتاة آخاذة .



وشعر دي فيني كما وصفه « سلت بيغ » يجمع بين الآلام والاستسلام والفتور وهو شعر البطولة والمآسى ، شعر القلب الابي الجريح ، شعر اللثام الرقيق الشعور ، الناطق في حالي اليقظة والشروء بروح للتصوف المذبة ، ورموزه الساحرة ، في أسلوب يبدو أحياناً غامضاً ، ولكنه عظيم وخلاب ؛ ويبدو أحياناً أخرى قظيماً في صراحته ولكنه لم يقل فيه كل شيء عن أسرار قلبه ، التي ظل يحتفظ بها حيال القدر الآخرس ؛ فهذه البارات الغامضة ، التي تحتل الكثير من التأويل وهذه الاخوية المتشعبة التي يذهب فيها الفكر بعيداً ، حاولنا أن نوفق بين أمانة النقل وبين تعريبها واضحة جلية في هذه الترجمة التي ننسخ بها ترجمة أخرى سبق نشرها من قبل .

إن يَكُنْ قَلْبُكَ الشَّجَى الْمَعْنَى أَرْهَقَتْهُ حَيَاتُنَا أَجْبَاءَ  
مثل نسرٍ دامى الجناحين مُضْنَى مستميتاً يصارعُ الأعياءَ



حاملًا فوق مُسْتَرْقِّ جَنَاحٍ    مثل قَلْبِي من بؤس هَذِي الحَيَاةِ  
طاملاً قَاتِلًا سَحِيقِ التَّوَاحِي    بَارِدَ الْجَوِّ ، حَالِكِ الظُّلُمَاتِ

...

رَازِحًا فِي عَذَابِهِ يَتَلَوَّى    مُتَقَلِّلاً مِنْ فَوَاحِشِ الْأَعْبَاءِ  
كَلِمًا ضَجَّ تَحْتَهُنَّ نَفْسِي    جَرَحَهُ الْخَالِدُ السَّخِينُ الدَّمَاءِ

...

أَوْ يَكُنُّ بَاتٍ لَا بَرَى الْحُبِّ ، هَذَا الْكَوْكَبَ الْهَادِيَ الصَّلُوقِ الْوَقَا  
مِنْ لَهُ وَحْدَهُ يَضِي ، وَيَجْلُو الْكَوْنُ فِي نَظَرِهِ أَهْلاً وَضِيًا

...

أَوْ تَكُنُّ رَوْحُكَ السَّجِينَةُ عَافَتْ    ذَلِكَ الْخَبْرَ فِي الْحَيَاةِ طِلَابًا  
هُوَ خَبْرُ الْأَسِيرِ فِي الْقَيْدِ بَاتَتْ    نَفْسُهُ مِنْ مَوَارِدِ الْخُفِّ قَابًا

...

يَتَلَقَّاهُ مُكْرَمًا يَسْدِيهِ    مُلْقِيًا مِنْ يَمِينِهِ الْمَجْدَافَا  
وَهُوَ يَحْنِي الْبَحْرَ شَاخِبَ وَجْهِ    يَتَنَا يَتَدَبُّ الْحَيَاةَ اعْتِسَافَا

...

وَهُوَ يَتَنَا يَتَنَافُ فِي الْمَدَارِ    مَتَقَدِّمًا بَيْنَ مَوْجِهِ الْفَرَارِ  
إِذَا يَرَى فَوْقَ مِنْكَ مِنْهُ عَارِي    وَصَمَّةَ الدَّلِّ وَصُورَتِ الْبَارِ

...

أَوْ يَكُنُّ جِسْمُكَ الْحَيُّ عَرْمَةً    هَزَّةً مِنْ عَوَاطِفِ كَامَنَاتِ  
بَعْدَ مَامَلٍّ عَالِمًا أَرْهَقْتُهُ    فِي حِمَاةٍ جَوَاحِرُ النُّظَرَاتِ

...

بَاحِثًا فِي قَصِيٍّ تِلْكَ الْحَزُونِ    لِيُبَادِيَ جِوَاهِرَهُ الْفَتَانَا  
عَنِ مَكَانٍ مِنَ الْعَيُونِ مَصُونٍ    فِيهِ يَحْمِي جَلَالَهُ أَنْ يَهْمَانَا

أَوْ تَكُنْ مِنْكَ عَافَتْ الشَّفَتَانِ كَاذِبَ الْقَوْلِ تَسْتَقْبِيهِ سُمَامَا  
أَوْ يَكُنْ قَدْ تَوَرَّدَ الْخُدَّانِ خَطَلًا مِنْ رُوءَى مُلْتَمِنَ أَنَامَا  
...

فَاهْجِرِي الْمَدْنَ وَارْحَلِي لِأَيْسَمِكِ ذَلَّ عَيْشٌ فِيهِ غَيْرُ طَلِيقِ  
إِرْحَلِي الْآنَ ! لَا يَنْتَلِ قَدَمِيكَ دَلَسٌ مِنْ غَارِ هَذَا الطَّرِيقِ !  
...

أَشْرُقَ مِنْ مِمَاءِ فَكْرِكَ حِينَا وَانْظُرِيهَا فِي ذِلَّةٍ وَإِسَارِ  
نُصِبَتْ لِلْخَلَائِقِ الْمَرْهَقِينَ كَصُخُورٍ قُدَّتْ مِنَ الْأَقْدَارِ  
...

وَانْظُرِي الْحَقُولَ وَالنَّابَاتِ حُرَّةً طَلَقَتْ كَهَذَا الْبَحْرِ  
حَوْلَ تِلْكَ الْجَزَائِرِ الْمُتَعَاتِ وَلَكُنْ فِي يَدِكَ طَاقَةٌ زَهْرُ  
...

تَجْدِينَ الطَّبِيعَةَ الْآنَ مِنْكَ فِي انْتِظَارِ رَهْمَةِ الْإِصْنَاءِ  
وَالْثَرَى مَرْسَلًا عَلَى قَدَمِيكَ مِنْ تَعَاشِيهِ صَحَابِ الْمَاءِ  
...

وَإِذَا الْأَرْضُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ رَمَحَتْهَا تَهْدُكُ الْوَدَاعِ  
وَإِذَا هَذِهِ الزَّوَانِقُ تُمْسِي وَهِيَ تَهْتَزُّ بِالْأَرَبِجِ الْمُضَاعِ  
...

وَاخْتَرِي فِي فُضَائِهِ الْجِبْلُ النَّاسَا فِي ، وَمُنْتَ مَعَابِدُ الصَّفَصَافِ  
نَاصِلَاتِ الْأَلْوَانِ فِي صَفَةِ الْمَاءِ غُصُونًا قَبِيَّةَ الْأَقْوَابِ  
...

وَتَهَادِي هُنَاكَ الشَّقَقُ الْمَا فِي لِيَلْقَى وَسَادَهُ فِي الْوَادِي  
فَوْقَ عَشْبٍ مِنَ الزَّمَرْدِ قُتَا نِ وَعُشْبٍ مُذْهَبِ الْأَبْرَادِ

تحت هذى الجروع مستحيات حيث هذا التبع الفريد الثاق  
بين هذى الخافلات الحالمات وهي تهتز رعدةً في الفضاء

...

حيث يسرى مُستخفياً في حجه لانذاً بالكروم مثل الظل  
ملقياً في الغدير شاحب ثوبه قائماً في السماء يحمن الليل

...

فوق طوى ثبّت كفيف نحى خطوات الصياد عند الديب  
عالياً عن جباهنا يتساقى وهو مثنوى الراعى، وماوى الغريب

...

فتمالّ هنا نجدد ذماما ونحیی خطیئة وضراما  
قدست من خطیئة ، لا أثاما ، قد دفننا لفعالها إلى الأماما

...

وإذا كان ذلك العشب خضفاً وهو يهتز هزة المرتاع  
فتمالّ إني أدرج أرضاً لك تحت الظلام بيت الراعى !

...

هو بيت يسرى على مجلات سمّت عينك سقفة المزدان  
عاطر الباب معتم الرجبات مثل خديك لونه المرجان

...

فيه ظل وفيه زهر نضير بينها خطوة لنا وتداني  
مخدم صامت القراش وفيه يلتقى فيه شعرنا في حنان !



## الليلة الأولى

كانت الشمس النارية ترسل أشعتها الأخيرة على صفحات الماء ، وفي حواشي النعام الأبيض ، وقد بدت منائر فينسيا الرائعة ذات القمر يد الأحمر ، والآجر الوردي ، كأنها سهام من النار مصوبة إلى عذو لما تظهر طلائمه في الأفق البعيد . .

واقتربت السفينة رويداً من الساحل وقد اتسع مدى النظر في الخليج الفاتن ، الذي اختاره ملكة الأدرياتيك عرشاً لها منذ أجيال بعيدة ، وامتد سلطانها منه على البلاد المرامية والبحار القاصية في ظل جمهوريتها العتيدة ، هذا العرش الذي أفرغت الطبيعة في تنسيقه كل ما أوتيت من ذوق ورزقت من بصر ؛ فيها الماء الأزرق يأتلق في ثبجة الشفق الأرجواني ، وهنا الصخور الرابضة على جزيرة جورجيا الصغيرة وقد تكدت من فوقها الأشجار حتى لامست بأوراقها جبين البحر ، كمنذرى يتلمن بأعناقهم ليشهدن منظراً معجباً ؛ وهناك عبر الساحل الدور البرانطية بشرقاتها الزجاجية الكبيرة وكأنما ينبثق من كل نافذة شؤبوب من الذهب ، وبين هذه وتلك تآرجح الجنديلات بقيادتها القضيّة على صدر الماء ، وتلهب وتجيء الزوارق بأشرعتها المختلفة الألوان وقد خفقت في حواشها نيمات المساء ، وترددت منها صدحات مطربات على إيقاع الحان رخيمة يعلو ويخفت صداها في وسط هذا المضطرب العجيب !

ورست السفينة ، وعلا ضجيج التوتية ، وأخذ الركاب ينادون المحالين لرفع أمتعتهم ؛ ووقت إلى مفادرة السفينة دون عناء ، وبعد لحظات كان الجندول يتخطى بين الأمواج الهادئة وينحطف في قنوات المدينة تحت الجسور الرائعة التي لا مثيل لها في العالم ، وقد بدأ الليل يبسط جناحيه الغدافين على ماحولنا ، والتوتى يصيح كلما اقترب من مفرق قناة منها القادم إلى مكانه ، وعجت السماء دون إنذار ، وانهمر المطر مدراراً فلم ألتفت إلى هذا المزاج الغريب الذي تفردت به طبيعة أوروبا ، فقد كنت مأخوذاً بسحر هذه المدينة وجمالها ولطافة الذوق المنبث في كل حجر من أحجارها ؛ واستغرقت شعوري هذه المشاهد البديعة ونحن نهوس خلال القنوات تحت أضواء المصاييح المعلقة على أبواب الدور وهي تسرج وتقطيء في مهاب الهواء البارد ، وصاح التوتى وقد أشرقتا على قناة كبيرة : هذا هو الفندق ياسنيور . . وهذا قال « سان ماركو » .

ووثبت من الجندول بالاهفة التي تستولى دائماً على كل سائح يرتاد بلداً غريباً وسرعان ما وجدت أمتعتي في الثفة المختارة ، نظمت معطني وغيرت ثوبي وغادرت الثفة مجلأ عاري الرأس ، تحية مستمرة للبلدية التي كانت زيارتها حلماً من أحلامي . . . .

وحينما توسطت ردهة الفندق هفت في قسائه : المطر غزير ياسنيور ! قلت : هذا جميل يا آنسة ؛ ولم يكن ردى مبنياً على المغامرة أو عدم الاكتراث ففي سواحل مصر الشمالية ألفت منذ حداثي المطر المنهمر ، والبحر المضطرب ، والسماء الغائمة ، والنوء الماصف ، والبرق اللامع . : وهذا سر الملاح التائه الذي عرفه ركاب السفينة المتأرجحة في يد العاصفة وهم يسبحون من هذا القى الأسمر الذي يقتحم غرفة المائدة ليلاً

معدته بالطعام بينما هم مستلقون على ظهورهم من دوار البحر أو ممسكون  
بمعداتهم الخاوية من الألم والاضطراب ؛

وابتسمت الفتاة قائلة لى برطانتها الإنجليزية : إلى أين ؟ قلت :  
إلى ميدان « سان ماركو » . فأومأت بيدها اللطيفة إلى جسر صغير ؛  
واندفعت حيث أشارت ، وما كنت أرفع رأسى حتى وجدتني حيال مشهد ،  
إن أنس فلن أنسه ما حييت ، وقتت حيث أنا وسمّر ناظرى فيما حولى  
ومرت لحظات كأنها نهزات وحى هامر أو إلهام غامر ، وأخذت عيناى  
تتبعان المرائى وتثبتان عما تريان تحت أضواء العواكس الكهربائية ، والثرثرات  
المعلقة ، بنظام هندسى فريد فى أرجاء المكان .. هذا ميدان « سان ماركو » !  
أى روعة ؟ أى فتنة ؟ إن الانقضاظ عاجزة عن تصوير ما أرى ،  
وأجد نفسى مفعمة بما لا طاقة لى على الابانة عنه أو وصفه ؛ غاص بصرى  
فى هذا الجمع الحاشد وكان يوماً من أيام قنيسيا القديمة قد عادها هذا المساء ،  
وكان هذا الحشد فى انتظار الدوج العظيم ، مرهباً طلوعه من شرفة القصر  
الحالد ، كل الميون متجهة حيث الكنيسة وحيث القصر وحيث البناء التاريخى  
العجيب الذى يحيط بالميدان إساحة السوار بالمعصم ، وقد نهض برج الساعة  
فى ركن الميدان سامقاً كأنه عملاق من عمالقة الأساطير أو كأنه « جلفقر »  
لفظ ألقاه حيث هو دون أن يشعر به الناس !!

تحركت قدامى ، ونزلت الميدان ، عن يمينى وعن شمالى مواعيد مصفوفة ،  
ومقاعد مبثوثة ، خاصة بالجالسين ، مزدحمة بالوافدين من شُعب المدينة ؛ ومن  
حولهم جمهور سائر لا ينقطع كأنه سلسلة متصلة الحلقات تلب على دولاىب  
دائر ؛ وفى وسط الميدان نهضت منصة الموسيقى برجالها تحت الأضواء الباهرة .  
وقد وقف الرجال بأردية السهرة السوداء وفى أيديهم آلات العزف والتفخ والتقر.

واشرأت الاعناق ، ودارت العيون ووقف السائرون في أماكنهم ،  
وأمسكت كل شفة عن همها ، وارتفعت يد « المايسترو » فبدأ اللحن هادئاً  
ثم تمالى رويداً ، ثم اتجر كأنه عين ثرة دافئة ، ثم ماجت الألحان فكانت  
مزاجاً أعزاً يشير الشجر ويهز القلب ويغم النفس ؛ وانتهت الموسيقى من  
عزفها وارتجى الميسدان بالتصفيق وهتاف التقدير والاستحسان ، وانطلق  
غلبان الحان معطوفين بالموائد حتى بدأت الموسيقى لحنها الثاني فلم يكن كتمت  
من سعادة يحلم بها إنسان أكثر من هذه الليلة ، كان مطر ، ولكن ماذا  
يفعل المطر بهذه النفوس المتعطشة إلى فيض هذا الفن العالى ؟ وما بلبل  
التياب وارتعاش الأجسام حيال هذا السحر الناق ؟ إذ تسبح النفوس  
وتتهل القلوب وتتكلم العيون وتعدى الرؤوس الحانية وتتشابك الأيدي  
الحبة كأنما تجدد ميثاقها لسلطان الحب القاهر على هيكل الفن الساحر !  
واشتد المطر لخال دون المرف وجمع الرجال أوراقتهم وغادروا المكان  
ونفض الناس ونهضت بينهم أتملى بناء المكتبة ، وبيننا أغادر المكان مربي  
رجل ترفق ساعده سيده صغيرة غريرة كأنها حمامة مقدسة من حمام  
هذا الميدان ولكنها ذات ريش أبيض . . . وأخذ الرجل يناقش السيدة  
وهي تمارضه وتضحاه ، فهبت هذا من حركاتها قبل أن أخمهم من لفتها !  
ولنظر الرجل إلى فوجدى إزاءه فرقع يده مراراً بالتحية هاشأ ، فأخبت  
رأسى عجباً باسم ، ولم يترك لي فرصة حتى أقبل على قائلاً : هل السيد أن  
يدلني على رياتو ؟ قلت : ما هذه الرياتو ؟ وكانت إيطالية الرجل سقيمة  
حتى لا يكاد يبين ، فتدخلت السيدة وتكلمت بالانجليزية وبطلاقة . . . هو  
يسأل عن « بونت دي رياتو » قلت : المعذرة ياسيدتي ، لني غريب هنا ،  
حضرت الليلة ولما يمش على في هذه المدينة ساعتان ؛ فاقترئفرهما ، وأدرك

الرجل معنى ما أقول فسألني . أأدى السيد مانع من صحبتنا فنحن غريان  
أيضاً ثم استطرد في سؤاله :

أأنت هنا وحدك ؟

قلت : نعم .

قال : وأين زوجتك ؟

قلت : لا زوج لي .

فتمجب الرجل وكأنا كان جوابي باعثاً على استنارة ذهنه .

قلت : هل في الأمر غرابة ؟

فابتسم قائلاً : كلا ولكن فينسبا مدينة المرائس !

قلت : إذن أتيا زوجان جديان ؟

ففضت السيدة ناظرهما حياء وتورد خداهما وضغطت على ساعد زوجها

بلطف ورقة كأنما تنممه من الأفاضة !

فابتسمت لهما وسألتهما : ألا تعرفان شيئاً عن هذه المدينة ؟

فهر الرجل رأسه علامة النفي ؛

قلت : إذن سأتولى أنا السؤال عن رياتو لأنى أتكلم الإيطالية قليلا .

ووضعنا أيدينا في أيدي بعضنا البعض بمركبة طييمة محضنة كأننا رقاء

مرفقون في المودة .

واخترق ثلاثتنا الميدان صفاً واحداً حتى حاذينا البرج السامق الذى تصدع

منذ ربع قرن وجدد بناؤه قبل الحرب العظمى بقليل فأخذت خطواتنا تهدأ

وأنظارنا تتجه نحو الكنيسة وخيولها الأربعة البرزية اللامعة .

قلت : ما أبدع هذا البناء !

فسألني الرجل : أولم تشهده غير الآن ؟



فأغتنى السيدة عن الجواب ، وأخفت مدام زوجها : ألم يقل لك أنه  
لم يمض عليه غير ساعتين في المدينة ؟  
واقترنا ملياً من مدخل الكنيسة وتلاقت نظراتنا قابضتنا وقد زاد  
فيض النور ، فتابع الرجل حديثه :

لشد ماتروعي هذه الخيول البرزية المطلة من فوق المدخل ، صدقتي أيتها  
الرفيق إلى أحبا وأخافها في وقت واحد ، فأتى كلما وقت أتأمل اقتدار الفن  
الذي صنعها ، أتخيلها حية تتحرك وأنها ستطوف بحوافرها هذه .

ثم ملنا إلى الصور المزدانة بها واجهة البناء المصنوع من قطع الموزايك  
البللورى والقصى واللازوردى والأصفر الفاقع والأحمر القاني ؛

قلت للصديق : لقد جاء دورى .. قال : حسناً .. قلت : أنظر إلى هذه  
الصورة فأخذ يتأملها وأنا أحاوره : هذه جثة الرسول مرقس . هذا الرسول  
الذى ضنَّ البنادقة على مصر بحجته فعملوا على اغتصابها فهتف الرجل : ومن  
أين لك ذلك ؟

قلت : تأمل يا صديقى فإن التاريخ يحمل مسئولية روايتى هذه جثة الرسول  
في الصندوق منطاة بأوراق الشجر الأخضر واللحم الطرى ؛ وهام الخونة  
بأزيائهم الشرقية يعينون المختصين على إخفاء الجثة ونقلها إلى السفينة المنتظرة ..  
فسألتنى السيدة بنورها : وماذا صنعوا بالجثة ؟ قلت كما ترين ، هذا مقرها  
وهذا البناء هيكلها الجديد !

قالت مداية : إذن لاخير أيتها السيد ولا غبن ، فلو بقيت في مصر  
لما أقيم لها مثل هذا البناء التادر المثال الذى يتحدثى الفنانين بأناقته وغمامه ،  
لخفيت رأسى اعترافاً بمنطقها السليم ، وسرنا تأمل العقود الرائمة ذات العمد  
الرخامية الناطقة بأعاجيب الفن في قصر « الدوج » قلت للسيدة : هذا فن

أجدادى ، فظفرت إلى كائنها تسألنى الإيضاح . قلت : ألم تزورى اسبانيا ؟  
قالت : كلا قلت : وأنا مثلك ..

فأبتسمت وعادت تنظر إلىّ وهى تبحر : هل أنت اسبانى ؟ قلت : كلا .  
إذن مالأجدادك وهذا البناء ؟ فظفرت لهذا الحوار الجليل .. وانطلقت أحدها  
« إن أجدادى ضربوا خيامهم فى رمال الصحراء وخرج منهم الانبياء  
والرعاة المشدون والفلاسفة والمفسرون ، ومنهم أيضاً القنانون المبتكرون .  
أنظرى سيدتى إلى هذه العقود وإلى هذه الأعمدة وإلى هذه الشرفات ، هذا  
الفن العربى وجد قبل بناء هذا القصر بمئات السنين ولا تستكثرى سرقة الفن  
على قوم اجترأوا على سرقة رسول ، قالت : ولكنهم بدلوا فيه وغيروا .

قلت : نعم والفن فى نظر بعض النقاد تحايل ومهارة وأساسه الإقتباس .  
قالت : وهل الكنيسة أيضاً مثل هذا القصر ؟

قلت : كلا ، إن قبائها السامقة تمت إلى كنيسة الحوارين المقدسة التى  
كانت بالقسطنطينية ولا أزيدك معرفة فهذان العمودان الرخاميان استحضرا  
أيضاً من القسطنطينية وركبا فى القرن العشرين . أما أولهما فيحمل تمثال أسد  
«سان باركو» المجنح ، أما الثانى فيحمل تمثال «سان يودو» الجمهورى الثيفينى  
وكان عارياً استشهد فى الحرب تحت لواء مكسيميليان .

فصتت فى مزاحها قائلة : عجاً اومن أين لك هذا الوصف الدقيق الشامل  
وأنت لما يعض عليك هاهنا ساعتان ؟ قلت : لا تعجبى أيتها الصديقة  
العزيرة فإن فى العالم مفاتن رسمتها المطالعة فى هذه الذاكرة وفى تقيسيا  
الحمرات غنى الثمرات وكتب للمهمون ؛ حتى فى هذا الأسد الضخم الرافع  
قبضته البرنزىة إلى الأفاق الهادى وفى هذا البحر الذى لاصياد فيه ... !

ولم أكد أتم كلمتى حتى صاح الصديق : إن الساعة الحادية عشرة ولم

فصل بعد إلى «ريالتو» ونحن ظلم يا صديقي إلى البيرة فأمرع بنا إذن، وغداً  
تم حديثنا عن الرسول مرقس والفن العربي .

وسرنا نسأل هنا وهناك عن «بونت دي ريالتو» حتى وصلنا القنال  
العظيم وأخذ بأبصارنا الجسر المعلق عليه ، وفي الحق لم يكن بحشنا عنه ساعة  
كاملة ، ولا مسيرنا كل ذلك الوقت عبثاً ؛ فإن هذا الجسر يعتبر من أعاجيب  
الهندسة التي تفرد بها «أتونيودايوتى» عام ١٥٩٠

وصعدنا الدرج الواصل إلى منتصفه فإذا بنا وسط حان صغير انتشرت  
في جوانبه موائد حمراء صغيرة ، صفت حولها المقاعد بأناقة وذكوق فأن  
فاخترنا مكاناً ، وأقبل غلام الحان بأبتسامته العريضة ، وما هي إلا دقائق  
حتى غصت المائدة بأقداح البيرة الكبيرة الفائرة الوردية وانطلقنا في حديثنا  
عن مصر ، وأخرج الصديق بطاقته وقال : إذا شئت فكتب لي عند عودتك  
وأعطني عنوانك لأكتب إليك . فتأملت البطاقة وهتفت بالرجل : هل أنت  
خفيد السياسي العظيم «بلسودسكى» ؟ فضحكت السيدة حتى كادت تستلقي  
بكرسيها على الأرض وقهقه الرجل قائلاً :

إنها مصادفة ! إني أستاذ في جامعة فرسوفيا .

ثم أقاض في حديثه عن بولندا وتغنى لوزنتها معهم وتحدثنا عن الفن  
البولندي ، فذكرت له كيف التقيت بالمصورة الفنانة «أولجا بوزنانسكا»  
في قصر السنيوريا بفلورنسا وأخذ هو يتحدثني بدوره عن مميزات فنها وعن  
مصور بولندي آخر هو الفنان «فالكاف باسكوفتش» الذي أحرز جوائز  
كثيرة في معارض الفن الحديث ؛ والتفتت السيدة إلينا متملة وهي تهكم  
علينا بقولها : ولم لا تحدثان أيضاً عن تهايل كوماتفسكى . ؟ ألا تظلمان من  
حديث القصور والصور والمتاحف هذه اليلة؟ أيها الرجال هذه فيسيا الحمراء !

قلت مداعياً : فلتنصرف إذن إلى حديث الحب ومغامرات العشاق في هذه المدينة ولتبدأ بهذا الشاعر الذي فرّ بشيقته الشاعرة إليها ، أو فلنبدأ بحديثها فربما كانت هي التي فرّت به ... وربما كانا يجلسان مثلكما فوق هذا الجسر وإلى مثل هذا الخوان وفي هذا المكان ، وربما كان يجلس إليهما في تلك الليالي الخالدة ، رجل مثلي غريب عنهما أيضاً .... قهقهه الرجل طرياً لهذه العبارات الموقفة ... أما هي فقد اقرّ ثمرها الضئير عن اقباسمة مشرقة عذبة ؛ قالت : ليس في هذه الأثارة ما يبهج ؛ وربما كان فيها ما يشجى ! فقد لقي هذا الشاعر المسكين من حب هذه الشاعرة مالم يلقى ، ولقد كانت امرأة عنيفة الأهواء ، جاعحة النفس ، متقلبة ، كثيرة التقل بين عشاقها فن موسيقى إلى شاعر إلى طيب .. ومن يدري . ؟ ولكنه كان صادق الحب وكان خياله يلهب حبه وكان سعيداً بهذا الخيال الجاهل مرضه في هذه المدينة شؤماً عليه ...

وقال الرجل : ولكنكما نسيتم أشياء عن هذين العاشقين ، فلم تكن "جورج ساند" تحب في موسيه ما يحبه المرأة المكتملة الأنوثة في الرجل عادة ، إن الحياة التي اضطرب فيها قلبها قد سلها ما ظنت أنها وجدته في ريب أبولون ؛ صورة وادعة ، وعريكة لينة ، وقلب ناضر ، وجانب رقيق ، ولكن الأثني قد استيقظت فيها على صوت خشن غريب ، هو صوت الطيب الذي يعود شاعرها المريض ؛ غير أن ذلك القلب الدامى الذي حرك الرحمة والحنان في قلب العالم كان قد وقع نشيده وغنائه ، وخلد فيه هواه وهو يهتف : لتدع ساعة البرج في قصر الدوج الحرم تعدّ عليه لياليه السمّات ، ولتعدّ على ثمرك العاصي يا جميلتي هذه القبلات المغفرة ! ... ، وشاعت روح هذا الشعر في قوسنا وتملكتنا رغبة في المرح فرغنا أقداًحنا

ومال الرجل على صاحبه وهو يقول : ألا تفتينا الآن يا عزيزي شيئاً من الخناك  
قالت : أى الألمان تريد ؟ قال لحنك الرومى المفضل ؛ فظرت إلى الماء  
المتألق تحت الجسر وقد بدا نوقى يفتى فى جنوده البعيد فبدأت إنشادها :

لأنجم ، لامصباح يلع فى السهل قد نامت الأدواح مفرورة الظل  
مطمورة الأشباح فى مهدها الثلجى هذا شعاع لآح يخفق فى وهج

الحارس السهران قد قحَّ الرُّجا يتلو على التيران أغنية الفولجا  
واللهب السكران يرقص فى ناره والنمُّ الفرخان يلهو بقشيره

أطلقت إنشادى يامن تفتينى قيثارك الشادى حلُّ الأرائين  
يدعو لمعادى الحب والأحلام يا حارس الوادى قد باحت الأنغام

هذا الفتى المراح قد أغلق البابا واللهب الوضاح من خلفه غابا  
لأنجم ، لامصباح يلع من بُعد لاصوت ، لأشباح إني هنا وحدى

يا أمل العمر يا حلم العنقاء

يا توأم الفجر يا ابن الصبا الرضاء

يا مملك الحب إني لك الليله

فاطبع على قلبى أو شفى قلبه !

وصفت طرباً وإعجاباً بهذه الأغنية الجميلة وقلت . أمى من الأغاني  
الاثنتى عشرة للشاعر الكسندر برك ؟ قالت : إنها من أغاني السهول القديمة ؛  
ولعبت نشوة الراح برأس الصديق فأخذ يداعب امرأته بغير تحفظ  
فانصرفت عنهما إلى القتال موهما إياهما إني أتأمله ، ولاحظت السيدة ذلك ،

فتورد خذها وأخذت تدفع عنها الرجل النشوان وأدركت منى عزوف  
عنها ، فبادرتى هاتمة : أرى السيد غارقاً في أفكاره ١١

فالتفت إليها باسمياً وأنا أقول : أجل ياسيدتى ؟ أتى لا أزال أفكر في  
الطريقة التي نسترد بها جثة الرسول مرقص ! فضحكت قائلة : ما عليك الآن  
من ذلك ورفضت قدحها وأشارت بحية به فرفضنا قدحينا ... ووقعت قلشق  
نوبها وهي تقول : ها بنا أيها الصديق فإن الليل قد جاوز منتصفه وفي الغد  
نمقد مؤتمراً في ميدان «سان ماركو» لتنظر في شكواك من البنادقة المحترئين  
على بلادك ، وهبطنا الدرج وسرنا وأنا أدعيا بقول : « حذار ياسيدتى !  
إذا لم نصل إلى نتيجة غداً فإن سأتقم للرسول مرقص من فيسسيا » ١١

فقلت في دهشة : وكيف ذلك ؟

قلت : سأسرق حمامة مقلسة وأفرجها إلى مصر ؟

فالت ضاحكة : كما صنع أخ لك من قبل !

قلت : إني أنكلم جداً وسترين كيف أفر بهذه الحمامة ؟

فالت : ألى القاهرة الحمراء أيضاً ! أليس كذلك أيها الشاعر ؟

قلت : القاهرة الخضراء يا صديقتى وسأفرد لهذه الحمامة عشاً في خيلة  
على ضفاف النيل ، فضحكت متممة : وجنة من جنات فرعون ! قلت : نعم  
جنة فيها من كل فاكهة زوجان .

وكانما أدركت السيدة ما ترى إليه دعاتى هذه فتأملت من سكر الصبا  
وحمر الليلة وسرت إلى جانبها والرجل يتعثر في خطاه حتى وصلنا أول الميدان  
فاستلنت إلى ذراعى وهي تقول : أرجو أن تسرع أيها الصديق قبل أن  
يأوى الحمام إلى أوكاره ولا تنس موعدنا غداً ، فحينها واقترقا ، كل  
في طريقه إلى مأواه .



## في ميدان إسـِـدرا

هذه روما الخالدة تأهب لاستقبال البعثة المنشوكة ، وكأنما غربتها موجة من مباحج أيامها الخالية ، فحيثما سرت أعلام عاققة ، وثرثبات متألفة ، وقد ازدحمت أرصفة الشوارع والطرقات بالفنادين والرائحين وهم يتطلعون إلى النوافذ الموشحة بأوراق الشجر وضفائر الورد ، أو إلى الفترينات المرصعة بألوان الثياب الزاهية ، والقطع الفنية الخلاقة ؛ وكنت في طريقي إلى شارع التاسونالي وأنا أجتاز ميدان فينسيا عتشد الخواطر ، مغمم النفس بالآثر الفني الرائع الذي أقيم إلى جانبه الجندي المجهول ، ذلك البناء الرعاعي ذو الدرج العريض العالي ، يشرف عليه تمثال عمانويل الثاني وهو ممط صهوة جواده ، وتحته أربعة من الجنود الأحياء مسمرين في أماكنهم حول إكليل كبير من الورد اليبانغ ، حتى لتخالهم جزءاً من هذا الآثر الرائع ، أو بعض تماثيله يستكمل بها روحه ، ويستتم بها الفكرة التي رفع من أجلها لللك الجندي الباسل ؛ وكانت رفيقتي في هذا اليوم الصحفية السويسرية "تيجلندر" وقد استرعى انتباهها استرقاق في تأملاتي ونحن نتحدث إلى شارع التاسونالي ؛ فشددت على يدي بلطف ، وهمسرت قائلة : « أفق يا صديق فإن السير في هذا الشارع نظاماً خاصاً ، فنظرت إليها نظرة المفريق من حلم جميل ، فاستطردت قائلة : يجب أن نجتاز عرض الطريق إلى الرصيف المقابل حيث نندمج في موكب العابرين إلى الميدان ، وعليك أن

نضع قدمك وأنت متنبه ، لأن السيارات هنا لا أبراق لها ، وترتفع  
ساعدى وسرنا حيث أشارت ، وغرقنا في تيار متدفق من الناس ، نسمع  
إلى لهجاتهم المختلفة ، هؤلاء بقية من الإنجليز والأمريكان القادمين من الشرق  
في طريقهم إلى باريس ، وأولئك طلائع الألمان الوافدين في موسم العنب  
الذي تحتفل به إيطاليا كل عام احتفالها بأعيادها الوطنية والدينية ، وبين  
هؤلاء وأولئك الإيطاليون المرحون وهم يتأملون هذه الوجوه الغريبة التي  
لتمحها شمس إيطاليا السافرة ؛ قلت لصديقتي وأنا أحاورها : « ماذا أعددت لي  
من لجاءات البهجة والمرح ؟ » فأشارت إلى الامام قائلة : « أنظر أيها  
الشاعر ، فهنا الليلة شعر ، وغناء ، وموسيقى ، وكنا قد أشرقنا على ميدان  
إسردا ، أبهج ميادين روما في الليل ، ذلك الميدان الذي يرسم محيطه نصف  
دائرة يبلغ مداها مئات الأمتار ، ويحيط به بناءان متماثلان من الطراز  
الروماني اثرت المصاييح الكهربائية في عقودهما الوسطى انتشاراً عجيباً ،  
ففي منتصف كل عقد مصباح من الحديد المشغول لا يختلف عن نظائره  
في أرجاء الميدان ، والثقت أنابيب الضوء الزئبقي حول الشرفات والمظلات  
خطوطاً أقيّة وهاجة أحالت الليل نهراً ، وبدت النافورة الرائعة في منتصفه ،  
وقد اثالت شآبيب مائها متلاثة تحت الاضواء العاكسة الخفية كأنها دهاليز  
من أشعة الشمس تمرق خلال النمام الأبيض ، وهذه العقود المتشابكة بمصاييحها  
السوداء تخيل لك كأنك في طريق « القوفر » عند المساء ؛ وهذه النافورة  
تذكرك بنوافير ميدان الكونكورد ، ولكن أين هذه من تلك ! إن نافورة  
واحدة من نوافير الكونكورد ، لا يتسع لها هذا الميدان الذي أراه الآن رجباً ،  
والذي أشعر بالنبطة وانتسراح الخاطر كلما اجتزته عابراً ؛ واندمعت وصديقتي  
إلى أحد المشارب ، حيث الموسيقى الوترية المترجمة عن أدق اهتزازات



العصب الإنساني ، والمعبرة عن أرق ميوله وأحاسيسه ١١ خلصنا من زحام  
الواقعين المتسممين وأخذنا مكاننا حول مائدة صغيرة ساقنا الصديقة السعيدة إليها  
إذ لم يكن هناك غيرها غالياً من الموائد .

وانتهت الموسيقى من عزفها بين عاصفة من التصفيق الملهب المحبوب ،  
وقامت فتاة رشيقة فوق المنصة فزعت لوحة لم أتيها وعلقت لوحة جديدة ،  
ماكاد الجمهور يقرأ ما كتب عليها حتى اشرأبت أعناقها وتنصتت أسماعه ذلك  
أن عنوان اللحن « مدام بترفلاي موسيقى باليني » وبدأت الموسيقى عزفها وسط  
ذلك الصمت الرهيب الذي لم تمكره صيحة بأفع ، ولا بوق سيارة ، ولا بكاء  
طفل ، ولا نباح كلب ، ولا تهاوس مستهزئ ؛ نحن في ميدان مفتوح يجتازه  
حولنا ألوف وألوف من الناس ومع هذا قلن تحس إلا ما أخبرتك به .

صورت لنا الألمان شتى أحلام وذكريات خلطها أطيافاً مرفرفة في ذلك  
الجو السجري البديع الذي يخلفه الفن القادر خلقاً ، ويعبده كيفما شاء ، حتى  
نظت أن الليل نفسه بدأ يزفر ، وأن النسمات الندية أقبلت من قمم الجبال  
والمروج البعيدة وحوافى الجداول ، لتسمع هي الأخرى صوت الطبيعة المتفجر  
بالسحر والجلال ، واختتمت الموسيقى عزفها ، والتفت المايسترو مواجهاً تلك  
القلوب الشاعرة والوجوه الشاكرة والآكف الثائرة ...

وقامت الفتاة الأولى فزعت اللوحة الصغيرة ، وعلقت لوحة جديدة تينت  
اسم لحنها فإذا به « سونيا » تقيه الآنسة "كارلوتا" .

همست صديقتي السويسرية قائلة : هذا لحن رائع ، وأغنية عاطفية شاذجة !  
وأخذت تتمايل من الطرب ولما تبدأ الفتاة لإنشادها ، وهنا ارتفع في وسط  
المنصة عمود معدني رفيع يحمل معجزة العصر الحديث ، معجزة اللاسلكي ،  
وصعدت فتاة ماكاد الجمهور يلجها حتى دوت الآكف بالتصفيق هادرة صاخبة ،

كانت ذهبية الشعر ، وردية الوجه ، في ثوب أبيض ناصع يحتكم في جسمها احتكاماً عجيباً ، لم يترك ثنية من ثيابه أو حية من حناياه إلا أظهرها ، فأظهرنا بذلك على المعجزة الكبرى التي تتحدى كل معجزة ... المرأة ، أو معجزة الخلق .

وقعت الفتاة أمام الجهاز اللاقط فصلحه يديها حتى استوى إزاء فلها الباسم ثم دارت في الجالسين بيمين تستبدان بالفرائز ، وتستأثران بالمشاعر ، وترسل صوت الاوتار رفيقاً ، رخياً . ناعماً ، وبدأت إنشادها وهي تضم يديها إلى صدرها الحافق ضمّاً حياً كلما احتاج اللحن شجاءاً ، أو وافق هواها ، أو كلما أوماً لها الفن أن تصدع بما أسرها به ؛ هذه القيارة الإلهية التي رُكبت في لماتها والتي أخذت تهتز تحت أنامل القدرة ، لم تدع للقياسير الصادرة حولها على صدور الشبان والقوابع من أترابها صوتاً يشعرك بنمير وجودها هي ، وغير غنائها الساحر ؛ اللهم إلا حين تسمو الثبرة ، وتنفو العاطفة غلوها التي المقتدر ، وبجأر الفيلنسلو ، بصوه الأجنس الشجي ، فهناك لا إنسان ولا إنسانة ، ولا عازفة ولا شاذية ، ولكنها أرهام من السحر تسمع لوقها على قلبك قرأ يستثير أجل مشاعرك ، ويستخف أنبل خلافتك .

وانتهى برنامج الليلة وبدأ الختم يدورون بالشراب على طلابه ، وبمجموعهم قودم من هوا بمخاددة المكان ، وأخذ عشاق الرقص في ارتعاب الفتيات حيث يبدأ ليل جديد بين الكأس والمخاضرة في أيها المكان .

وكانت صديقي ، على رقة طبيعتها ودقة انتباهها ولطف إشارتها ، معنية بكتابة بعض خواطرها أو مذكراتها في مفكرة صغيرة ، وكنت أرقبها باسماً وما كادت ترفع وجهها حتى صاحت معتذرة عن انصرافها عن هذا الشاغل البريء ، وأخذت تجمع حقبة يدها وهي تقول : هيا يا صديقي فأنت متعب

ولا شك ... قلت : كلا والأمر على خلاف ذلك ، ولنا الآن أن نشرب قدحين من الأوروم ، وأن نتحدث فيما وعدتني به هذا الصباح ، لأن طريق غدأ إلى « نابول » كما تعلمين ! فأجابت وهي تنفض من نظراتها : لقد غلبت حيائي هذا اليوم عندما أرسلت لك بتحية الصباح مع خادمة غرفتك ، وحدثت نفسي : ماذا يقول هذا الرجل الغريب عني ؟ وماذا يكون ظني ؟ ! على أنك كنت وحيداً على مائدتك ، وكنت أنا وحدي أيضاً ، وكنت فاضلاً عند ما شكرتني ودعوتني إلى زيارة كنيسة سان يتر ، فاني كاثوليكية ولم يكن أحب إلى من زيارة هذا المعبد ، ولست صحفية بصحيح المعنى كما أخبرتك وإن لم أكذب عليك ، فاني أشتغل محررة خطابات في بنك ... وأرسل بعض الصحف والمجلات بما يهم قراءها من شئون المرأة في الممالك والمدن التي أغشاها كل صيف وقد جهزت أمس لشقيقتي - رغم الخلاف الذي بيني وبين أستاذتي البروتستانتية - هدية جميلة بمناسبة زفافها الذي يتم هذا الأسبوع ، وعلى أن أرسلها غدأ ، وقد أعددت لها عرضاً جميلاً في غرقي فقم بنا الآن إلى الفندق حتى أقف على رأيك في هذه الهدية ، فإن ملاحظتك تعجبنى ... قلت : أوليس لك رغبة في القدح الأخير ؟ . فريبت على كسفي وهي تقول : أريد أن تحتال على تكوين رأي جميل بهذا الشراب ؟ قلت : إنني رجل متضارب الآراء لا أستقر على حال والمرأة تزيد في حيرتي إذا وكلت إلى بأمورها وإنما يشجني الشراب على البت في شئون النساء فانهن يارعات في إلتحال العيوب ، لاذنات النقد يتطلبن من الرجل السداد والكمال في كل شيء ... قالت : كني مزاحاً أيها الشاعر وسأبادلك النخب على أن يكون القدح الأخير ، وأفرغنا قدحينا نهلة واحدة ونهضت واقفة وهي تقول : لم يا صديقي ؛ فسيبت إلى جانبها وهي متكئة على ذراعي ونسي تحذرتي بأمرها ، وسألتها : وهل شقيقتك يا صديقي

أكبر منك سناً ؟ قالت : بلى ! إنها شقيقى الوحيدة ، فاستطردت قائلاً :  
 أو ليس لك خطيب ؟ فاصطبغ وجهها حياءً وتعثرت لفظة بين شفتيهما ،  
 قلت : « معذرة فما أردت إلا الحديث ، قالت : يا صديقى لست تعرفنى كل  
 المعرفة فأحدثك طويلاً عن حياتى ، ولا على أن أخبرك إن زفانى أيضاً كاد  
 يكون هذا الأسبوع لو لم أفسد حياتى بالصراحة ، لآتى لم أكن خبيثة يوماً ما  
 قلت : معنى ذلك أن الرجل أفسد حياتك ! فابتسمت قائلة : ليس من  
 حقي أن تعرف أكثر من هذا ، وإن كان من حقى أنا أن أخبرك ، يد  
 أنى أختصر الحديث اختصاراً ، فأقول لك إنك تحمل صورة الرجل المفتوح القلب ،  
 فإذا أحببت يوماً فأحذر أن تقول لعذرائك إنك تحبها ، كن غامضاً فإن لذة  
 الحب فى الشعور المبهم ، لقد قلت يوماً للرجل : إنى أحبك ، فنقص حبه  
 سريماً ، وزايله اندفاعه نحوى ، وفارقتى عطفه ، واستحال عذوقاً آخر يستغل  
 عاطفتى ، ومنذ هذه اللحظة وأنا أخاف الرجل ، الرجل الذى يريد أن ينزع  
 من أفواه العذارى كلمة « أحبك » ... وكنا قد وصلنا إلى الفندق .....



## يومٌ في فرنسا

ما أجمل الصباح ، وأرق نسماءه . وأصفى سماه ، بهذا كنت أحدث نفسي وأنا أتحدث من شارع غاليلي إلى الشانزليزيه العظيم ؛ متذكراً وقتي منه منذ أيام وأنا أستعرض جماله من قمة قوس النصر ذي الشعلة الخالدة الذهب ، هذا البناء الضخم متوسطاً ميدان النجمة ، يمثله في هذه اللحظة فريسة وقعت في خيوط عنكبوت جبار ، اجتدت من أركان مدينة خيالية ، وكأن الشعلة الخالدة الذهب ، روح الفريسة المضطربة تتحدى المصراع ، وتعلن عن قوة الحياة المشبوبة المضطربة : كم من مساء قاتن في باريس ، وكم من ليلة ساحرة ، وكم من صباح جميل عذب كهذا الصباح ، يجب إليك مصالحة النور والتسليم ، عارى الرأس ، خفيف القدم ، وأنت تعبر الشانزليزيه والكونكورد والتويلري حتى اللوفر ، الذي احتجب كنوز الأمم ، أو إذا جنحت بك النفس ، فغطفت من الكونكورد على المادلين وسان ميشيل وحدائق اللوكسمبرج وانسربت بعدما في أبهاء الحى اللاتيني لتستعيد بعض ذكريات جميلة حلتها من مطالعاتك لكتاب وشعراء وفنانين مرجين ، ماجنين ، عابثين ، استقامت بمرحهم ومجاتهم وعيهم ، حياة جادة مذهورة بالأدب الحى ، والفرن المشرق العالى . لو سلفت لى حياة فى هذه الأماكن المعطرة بروح القدم ، لاستغرقنى الذكريات ، ولكنى رجل حائر قلق ، قطالنى الضر من هنا ومن هناك فألاحظها بالنظرة العابرة والتأملات الخاطفة ، وسرمان ما أعود إلى نفسي ،

لاسكن إلى طبيعة هادئة ، أفكر فيما أنا مقبل عليه في يوم من عمل أولهو ،  
ولست رجل مغامرات ، ولكن الأقدار تأتي إلا أن تضع في طريقي أينما  
سرت حادثاً غريباً ، وشاغلاً عجيباً ، وعبثاً أحاول أن أكون الهادئ  
الناعم البال ، وكل ما في هذه المدينة يتأمر عليّ ، شدّ ما يفتي الخيال أصحابه ...  
فإن كل حجر من أحجار الطريق ، وكل ورقة صفراء تقتفّض في يد الريح المبوب ،  
وكل نافذة يضطرب وراء زجاجها النور ، وكل مقعد خشبي متبدّل بالظلام تحت  
أشباح الشجر السوداء ، يفريه بالاندفاع ، ويدعوه إلى المرح ، ويصرخ به  
إن الحياة في باريس للتمرد الخطير ، والمشرّد الكبير ، فإذا عليك وأنت  
هنا طليق من أسر العادات واصطناع الوقار ، لو عبت من هذه العيون الدافقة  
وتخففت من ثيابك ، وقذفت بنفسك في هذا المضطرب الساحر ! أقسم هذا  
الجو العاصف بالشهوات ، وأفطر من وراء هذا الزجاج ، فإن الضوء الضعيف  
المتفرق في أوكار مونبارناس يؤكد لك أن حياة القوم هنا ليست حساً عصياً  
ولا جسدية مطلقة ... وأن الخمر التي تماقرها في الكوبول تحدت من أكرم  
أعصاب الحياة ؛ وليست من حداث الرين وكروم الجنوب ... وهذه الأجساد  
العارية في التابوران واسفينكس ، والمومير . والقول برجير ، هي أسمى ما وصل  
إليه الفن الآلهي تمثيلاً وتصويراً ، وهي في طريقك غداً تماثيل وتصاویر  
يقسرك السحر المودع فيها على التطلع إليها ولاكتناه سرها العظيم ...  
وإن نداء صوت تصل إلى أذنك وأنت تحتاز القندوم في هدأة الليل ، وحركة  
سيارة تحف لإزادك في الخلك القاتم ، فإذا بك مندفع نحوها ، وإذا صوت  
رقبي يسألك عود تقاب ، ويد مرتشة ترفع سيجارة إلى فم رقيق باسم ،  
وعينان شاخصتان إلى وجهك ، فإذا ما أضاء التقاب ، وامتدت يدك ، واقترب  
وجهك ، أحسست هذه الرغبات التي تتجاوب بها الأدغال في أول فجر الربيع !

في هذا المكان ، وهذا الظلام الرهيب ، وهذا النعوس ، وهذا الخنين المبهم الذي يتنازع كائنين غريبين . المجهولُ أيها الشاعر ، أروعُ وأغلى ماتبحث عنه في حياتك من كنوز ...

وهكذا سرت أحاور قسى ، وأنا أتصفح وجوه الباريسيات المبكرات إلى عملهن ، وهن يتخطرن فوق الأرضفة وفي عيونهن من أسرار الليل الداهب ألق ، وفي شعورهن من خمر المساء النابر عبق ، وكنت على موعد ، وما هي إلا دقائق حتى كنت أشرب القهوة الفرنسية اللذيذة على إحدى موائد «كافيه دلاليه» ملتجئ الغريباء من أبناء الشرقيين الأدنى والأقصى . وكان شريكى في المائدة شاب أنيق البزة ، حسن الوجه ، عرفت منه إنه سورى ولد بالاسكندرية ولأنه يشغل بتنظيم بعض الرحلات في باريس وضواحيها ، وتحدثنا عن ذلك ودعاني الى الاشتراك في رحلة تمتنى بحظ وافر من البهجة . قلت له : لقد رأيت كل شيء . قال : ولكنك لم تقرأ البرنامج ، ودفع الى يضع ورقات وأشار بأصبعه الى إحداها . قلت : لقد زرت فرساي وعرجت على ملبازون واتييت إلى فونتنبلو ... قال : ولكننا حفلة مساء في حدائق فرساي القاتمة ، موسيقى ورقص أكروباييك على الاضواء المختلفة الألوان وأسهم من نار وكانت هذه آخر حفلات الموسم ، فواظت على رأيي وفي الميعاد المحدد كنت في السيارة المختارة سيارة المتكلمين الانجليزية ، ودرجت بنا في طريق ضاحية «سان كلود» التي حفل بذكرها القصص الفرنسي ، وشاءت الصدقة أن يكون معنا هذا الشاب السورى المرح ، فأخذ يمزج مع الركاب بلهجة انجليزية فكهة ، وهو ينظر الى من حين إلى حين باسماء ، كأنما يحفرنى إلى مساجله ، ولكن هذا الخيث كان قد أعد شيئاً في طوايا نفسه ، فوقف وسط السيارة خطيباً وهو يقول : «سادق: هنا جتلبان مصرى غريب مثلكم ، يتكلم الانجليزية ،

وقد لاحظت عليه اضراده بينكم، وكلكم أزواج تتسلون وتضحكون، فمن دواعي سرورنا بجماعة تعنى بتوفير مباحثكم، أن يكون له حظ مشاطرتكم سرهم وحديثكم. انطلقت كلمات هذا الشاب كأنها أنباء خطيرة يتسممها قوم معيون بها، وشخصت العيون إلى، السيدات يتسمن ويضمنن علامة الجمالة والتحية، والرجال ينظرون ويشيرون بأصابعهم على الطريقة الفاشستية، والآنسات أين هن ١٤ هناك وجهان يشرقان بنضارة الصبا، وتلظيان صحة وعافية. يتوسطهما وجه سيدة كريمة لما تفارقه وسامته وقسامته. عرقتهن فيها بمد. فهذه السيدة ديناركية من كوبنهاجن. وهاتان ابنتاها. وهما كألمها من الفتنة والخفة ورقة الجانب وعلوية النفس على قدر عظيم. وددت لو شكرت هذا الخبيث على ما صنع؛ فإن سحر أوروبا ليس يبالغ من نفسك أثره إلا في ظل صديقة تشاطرك غدوك ورواحك، أو قاسمك ماقدتك، أو تبادلك حديثها، أو يناسم عطفها قلبك؛ ورحت من طريقي أشعل سيجارة وأنا أتأمل مفاتيح الطبيعة من زجاج السيارة. وإذا بيد تربت على كفتي. فالتفت أرى ما هناك... فوجدت سيداً أمريكياً يسألني عود قحاب... وأدريت القحاب منه فأشار إلى جانبه، فإذا سيده مشيقة، ناضرة العمر، أنيقة، ضاحكة الوجه، صفت شعرها على طريقة القرن الثامن عشر، وقصت جانبيه على طريقة القرن العشرين؛ عيناها العسلتان يشرق في كل منهما قيس من السحر في إنسانين ضارعين، كأنها طفلة إلهية هبطت لأول مرة عالم الأرض؛ كانت يدي المرتجفة تدنى لحب القحاب من سيجارتها وعيناها لاهواقان وجهي كأنهما بوغستا برؤية غلوق غريب لأعهد لها به، واضطربت روحي تحت نظراتها وأطلقت صيحات مجهولة شريرة تصرخ من أعماق إنها... إنها المرأة المنتظرة... وفرت هذه الأشباح والأصدا. على صوت السيارة وهي تقف على أبواب فرساي؛ وجزونا



أسوار القصر ودخلنا ردهته وكانت لاتزال إلى جانبي . وكان الزحام عظيماً جداً حتى لا يكاد يعرف الإنسان من أين يمضي وإلى أين يتجه ، وصاح الدليل بنا أن نحرص على متابعتي ، وألا نبطل في ذلك وإلا ضللتنا طريقنا في أبناء القصر وهيئات إلى أن ننتهي من سبيل ؛ واندفعنا إلى الحجرات تتلى جمالها ، ونتمسك بأبصارنا المبهورة روعة النقوش ، ودقة الرسوم ، والدليل يروى من أبناء القوم وأسرار حياتهم في هذا القصر المنيف ما يشبه الأساطير ، أين لويس الرابع عشر ؟ وأين سمياء العظيان من بعده ؟ وأين ابن الثورة التي عقها ؟ أين أولئك الذين مرحوا في هذه الحجرات ، وطالعوا الأمل واليأس من هذه الشرفات ؟ كل ما في القصر ينطق بالنعيم الزائل والسلطان المتدثر ، جدران تكاد لاتعرف فيها أثرها اليد الصناع المقتدرة ، وصور يذهب الخيال بين الظل والنور فيها ، وسقف موجت صنفاتها بالنقوش وموت حواشيها بالذهب ، كأنها لجة ضربت في شفقين ملتئين ما بين المشرق والمغرب ، وجزنا عتبة الباب العائش إلى صالة المرايا الكبرى ، واتشرنا في أرجائها نضوب العين حيناً ، ونصعد حيناً آخر ، ونقل خطانا على ريث ، نستعرض ذكرياتها وتأمل ما أسبق التاريخ عليها من جلال وخطر ، ياللقدر الساخر والزمن الوثاب !! كم مررت بهذه المرايا أشباح طواها الموت ، وتطلعت وجوه زواها التراب وأشرقت ابتسامات أطلقها القدر ، ولم يبق إلا صسوت يقول إلى أشم رائحة الدم !!

خلصت من مآسى هذه الحجرة إلى حجرة المرأة الطلقة ، إلى الالهية العائبة ، هذه صورتها معلقة في مكانها كما قلعت عن الأصل المودع في متحف روما ، وهذا تمثالها الصني ، ورأسها المترفع الجليل ، تيجاناً بعنقها المرمري الرقيق الذي حزه القولاذ القاسي ، بين الضحك والاستهزاء ، أو بين الحقد

والبنضاء ، بالأسى ! كنا نمر في الحجرات والمخادع التي داسها بقدميه اليأس المحروم ، واتضحها النافم النضوب ، إنه ثأر لإنسانيته ؛ كان شعوري ذاك الذي صورته لك وأنا أضطرب في هذه الحجرة المشؤومة التي احتفظت ببعض أثاثها ، حجرة ماري اتوانيت ! جئت لأتسلى ساعة من زمن فأعقبني مسلاقي حزناً وتندماً ، وأورقتي إشفافاً والماء ، وممعت بالهرب من هذا الجو ، فألقيت فطرة الوداع على وجهها الباسم ، وملت عنها إلى النافذة العريضة أتأمل الحدائق التي تملأ الآفاق ، فالتقت نظراتنا . . . . كانت هي أيضاً تنظر من النافذة القريبة ؛ كنت أظنها بعيدة عني . . . وكنت أفسني منفرداً بنفسى ، ولكنها هي . . . حيث وقفت بها الاقدار على قيد خطوتين منى ، باسمة مشرقة الوجه ، ملتبة الخدين بما نعيم فيهما من ماء الشباب ، كنت أجدّها دائماً إلى جانبي والجماعة تضغطنا ضغطاً كلما جزنا باباً ، أو عبرنا دهليزاً ، أو اجتمعنا حول صورة تتملأها ، أو أثر نمين تتحراه ، وعيناً حاولت ألا يمس ثوبي ثوبها أو يمر ظلي بظلها ، فقد كنت مأخوذاً بها وكان جمالها خطراً لا يستطيع دفعه أو توقّيه ، وكان رجلها ولا شك يبرقها أكثر منى ، فكان يرمقني من حين إلى حين بنظر صارم حديد ، حتى تحيل لي أنى مطارده يلاحقه خوف ، أو هارب يتأثره حشف ؛ ولكن هذه الملكة المسكينة كما جئت على زوجها جئت على . . . . والتفتت إلى قائلة : خسارة فادحة أن تفقد هذه الحجرات أثاثها وأن تعرى من رباشها ! قلت : أن الثورة لا عقل لما نهي بنت العاطفة الشرمة الهاتجة ، وقد أكلت في طريقها ما صادفته . . . قالت : أعرف ذلك ؛ ولم تكذبى عبارتها حتى أقبل الرجل . . . ومشيئاً ممّا إلى خارج القصر ونحن نتشر بما كان من أهله ، وأى عدوى من الترف الفاجر قد أصابت خدمه حتى أوردتهم شر أمراض الاستهتار

فكانوا يقدفون بالقدر من التوافد بلا حرج وبلا وازع ، وكيف أن طرق التدفئة جميعها قد عجزت عن إرضاء الأميرات والوصيفات والخليعات والمضيفات في الشتاء القارس ، فكُن يستلھين على الأرائك الوثيرة متأطرات على فوهات المدافئ المتشفة ، مشمرات عن سوتھن ، نصف عاريات ، لينعمن بالنفء ويعرضن أجسامهن للحرارة بينما تستفرغن الأحاديث اللذيذة والأسمار العذبة ؛ وكان طربها بهذا الحديث شديداً فألقت : سؤالاً غريباً قالت : أشيد قصر فوتنبلو لما رى أنتوانيت ؟ فلم أحر جواباً ، ودس الرجل يده في جيبه فأخرج كتاباً صغيراً قلب فيه بضع صفحات وهو يغمغم بأفھه ، وألقت فيه مدام دي پارى : .. فهتفت مازحة وهنّ مشيدات التصورات قلت : ما في ذلك غرابة ولا هو بمستكثر عليهن ؛ فاسترسلت في مزاحها قائلة : ومن تمنى ؟ فتدخل الرجل قائلاً يعنى الجملات القاتات ؛ وكأنما أراد هذه العبارة أن يشعرنى بوجوده ، فاندفعت قائلاً : وفهن خيرات فاضلات ، وإن أنس ياسيدى . فلن أنس ذلك القلب المودع في صندوق على رفرف الاقليد . قلب المرأة التى شاركت جيروم حياته أملاً وألماً . فأوصت بأن يرفرف قلبها على قبر زوجها . حقاً لقد كان جيروم عظيماً كشيقة نابليون . وانصرفنا إلى حديث الفن فسألتنى أرايت أروع وأغلم من هذا القصر وحدائقه الفناء ؟

فأجبته قائلاً : ليس للفنامة ولا للضخامة حساب كبير في رأى الفن الحديث ، فان للرشاقة جمالا ، وللبساطة روعة ، وهذا الطابع المعمارى نراه في كثير من قصور أوروبا ، بله فرنسا وليس غريباً على فوتنبلو والوفر والتريانون والباليه رويال والاقليد أيضاً ، وانت ترين الصور والنقوش المزدانة بها تلك الحجرات وكأنما استعيرت من بعضها البعض وان شئت فھى من بلاد غير

بعميلة ، في قصر السنيوريا بفلورنسا ، وقصر الموج بالبندقية ، ولا أحدثك عن الفاتيكان وروائمه ، أما هذه العمدة الضخمة والرفارف العريضة المظلة من فوقها فهي من بلاد أخرى غير بعميلة أيضاً ، وقد أخذ الفرنسيون عن الفن الروماني أجله وأبدعه ، وأخذوا عن الفن الاغريقي أرسقه وأروعه .

قالت : وهناك أيضا بلاد غير بعميلة عن روما وأثينا ، وعنها أخذ العالم أرفع الفنون ؛ قلت : بل لا يزال يأخذ عنها ياسيدتي ! فأبتسمت قائلة : ومن أنباك أنها بلادك ؛ .. قلت : في إشارتك اللطيفة ما يغني ياسيدتي ، ومصر تحمد لك هذا الاعتراف بلسان أحد أبنائها ؛ فبدت على وجهها علامة بهجة خفية وهي تنظر إلى ثواب الأشجار الساجدة في لجة الشفق الأحمر وكنا قد وصلنا إلى تمثال فانت يمثل فتاة عارية تسبح في الماء .

فسألني قائلة : أيسجك هذا التمثال ؟ فأجبته بل ويكاد يفتقني ، قالت : وما سر إعجابك ، قلت : هذه الحياة التي تكاد تمسك فيه ، بل هذا الجسد الفاتن وإن صيغ من جاد حامد ! قالت : ولماذا خلا فتكم القديم من هذا اللون ؛ قلت : نعمين الأجساد العارية ؛ قالت : بلى ، قلت كان ذلك خضوعاً ولا شك لروح الديانة ، وأنت تعرفين أن الفراعنة وهم أبناء الآلهة قد خضعوا في حياتهم وحكمهم للكهنة وطقوسهم ، فكيف بالفنانيين وهم من أبناء الشعب الذين كانوا ولا رأى ولا سلطان لهم . ولا عجب في أن يتأثر كل شيء في هذا البلد بروح الديانات فيه استمدت الشرائع جينها هذه الطقوس التي نقرأها ولقد كان المصريون القدماء أعلا بصرأ بالحياة وأسمى بالرومانيات دنيا ، لا يد أني أحب أن ألقى ضوءاً على هذه الناحية فأنت ولا شك قد زرت مصر ! قالت : وأتمنى عودة إليها من جديد ، وحياة طويلة على ضفاف نيلها ، بين رمال صحرائها وأشباح نخيلها ؛ قلت : وهل زرت الأنصر ؟ قالت : وعرفت سر

القرود في مقبرة توت عنخ آمون .... ...

قلت : وهل رأيت ذلك «الكاباريه» في مقبرة «نحت»؟ قالت : ورأيت  
«الآرتست» «الماريات» قلت : حسناً ! فهذه المقبرة صورة من الرغبات المكبوتة  
التي كانت تضطرب تحت ضغط الكهنة ؛ فقد حرموا على الفنانين تمثيل  
الاجساد العارية ! وبما أذكره أنَّ قسناً حراً لم يطلق صبراً على هذا الحرمان  
فصنع تمثالاً عارياً صغيراً ، ولكنه خشي العقابة فتخلص منه بإلقائه في مقبرة الأميرة  
«تسين» التي اكتشفت منذ أعوام في حرم الأهرام ؛ وقد رأيت هذا التمثال  
غير متقن الصنع ، نتيجة الاضطراب الذي يطوف بأفكار الثوار ويظهر أثره  
في أعمالهم ، ولكن هناك ياسيدتي أمراً آخر مرجعه النفس ، فان للأجواء أثرها  
الغالب في تكوين الميول وصقل الأنواق كأثرها في تكوين الأجسام .  
وفي ذلك الجو المصري السافر الذي يكاد يروع البصر لإشراقه ، حتى لتعظم  
فيه دقائق التركيب وتبرز خفايا الصنع ، في مثل ذلك الجو تزعج النفس إلى شيء  
من الحجاب ، وتحاول إخفاء بعض النواحي المكشوفة المفضوحة ، إنها  
اللاشورة الفنية التي تؤثر النعوض والإيهام أحياناً وهذا على العكس من الأجواء  
الأوروبية المحجة القائمة التي يَحْتَثُّ فيها البصر ، فإنها تقتضي الكشف وتلزم  
السفور ، ومن هذا ترين ياسيدتي أنَّ للفنان المصري نصيبه من الاحساس  
الفني بالجمال ، وقدره الرفيع من التعبير عنه .

وكنيت أنكلم بحماسة وانقطاع بالعين كأنني أنشد قصيدة من ذات نفسي ،  
وكنيت ألمح إعجاب السيدة ورضاء الرجل وانتهى مطافنا إلى المطعم القريب  
فتناولنا عشاء شياً وأقبل المساء ..... وانتهى الليل باتناه حفلة عيد الحرية  
في حدائق فرساي ... وطلع علينا الفجر والسيارة تحتاز بنا غابة بولونيا بين  
سقسقة المصافير وتزيريد العنادل .

وبعد أيام ، وقفت أتأمل أنوار باريس الباهرة وأنا واقف في عمر العربة  
والقطار ينهب بنا الطريق إلى لوزان فإذا بصوت عذب ، ووجه ساحر أعرفه ،  
وابتسامة تومض بها شفتان ، ويد غضة ترفع سيجارة إلى فم رقيق ... وهي  
تضحك وكأنها تذكرني بأول ثقاب أشعلته لها... ورحلت أنسم عطر دخانها وقد  
همت بالانصراف وهي تقول : أرجو لك سفرأ سعيدأ ولعلك ذاكرى يوما  
في مغرب شمس على ضفاف النيل ، أوفى أمسية من أمسياتك المصرية  
المرحة . ومدت يدها إلى يدى مودعة ، فرفعتها إلى فمى وانحنيت أطبع عليها  
بقية القبله وقد انزلت شقى الجفاة على بشرتها الناعمة ... ووقفت أرقبها وأنا  
أكاد أنوء بالسر العظيم وقد بدأ خيالها يختنق في المعر الطويل وهي في زيا  
البديع ومشيتها الساحرة .





## فِـتَاةُ بَزْنٍ

كانت غرفة الطعام هادئة النور ، لا تلمعت في فضاءها أضواء هذه المصابيح الصغيرة ذات الألوان البهجة التي كانت تزدهر بها الموائد البيضاء كل أمسية ؛ حتى تبدو كأنها حديقة مثالية تضيء بجامر وردها في ليلة شرقية قراء ؛ ولم يكن غير خوان صغير في صدر المكان يجلس إليه ضابط شيخ ، وهو يشرب قدحا كبيراً من النبيذ الأحمر على مهل وفي تأمل هادئ عميق ؛ وكنت جالساً إزاءه تحت الشرفة المريضة أقرب الكنيسة القوطية ذات البرج السامق الذي طالما أصغيت إلى رنات نواقيسه في أ صباح يوليو المائجة بالنور ، الناعمة بالطر ، وكان السكون يفيض على هذا المساء فليس إلا صوت المطر المنهمر في الخارج ، وهذه الأصدا التي ترملها إلينا من الميدان عجلات السيارات المنحوسة في المياه الباققة تحت الأفاريز ، وأولئك العابرون بنظام القوة المزدانة على أحجار الطريق ؛ واستغرقتني ذكريات الأيام الأولى التي قضيتها في هذه العاصمة الجميلة وأنا آخذ الطريق الصاعد إلى " الجورتن " في الضفة الثانية من النهر ، أو أهبط المنحدر القاتن إلى المتحف التاريخي ، أتملى نفاثه وبينما تحف شرقية جميلة معروضة في بعض غرفه ، فهذه الأواني الخزفية ، المزدانة بالآيات والحكم العربية ، وهذا الأوان الخشبي من القرن العاشر الهجري بطنافه وزخارفه المموهة بالذهب ، وهذا المخطوط من القرآن الكريم بنقوشه الفارسية الدقيقة ، وهذه المجموعة من أزياء الحرم في الشرق

الإسلامي من الشيطان إلى الحبرة إلى اليشمك . ثم هذه الزواجر الأخرى التي تعجب الفنان ، وتجذب الشاعر ، وتقتن الأديب ، ويذوقها نسخة من الطبعة الأولى لرواية « تلياك » ، بورقها الكتاني السميك الكبير الحجم ، وطباعها ذات اللونين الأسود والأحمر ، بالحروف الجرمانية الشجراء ، وإلى جانبها آلة الطباعة الأولى لجوتنبرج .

واستغرقت هذه الصور لحظات ولحظات حتى انتهت على صوت الضابط وهو ينادي المكان في برته العسكرية الأنيقة ويلقي بتحيته إلى بادى العظمة ، موفور المهابة !

وأقبلت الخادمة الشاببة وهي تقول :

يوسفى أيها السيد أن تظل وحدك في هذا المكان ولكن ربما حضرت من « كارين » هذه الليلة فهي قد علمت بحضورك الآن ! قلت : شكراً يا آنسة ، ومن ترى ذلك السيد ! ألا يبيت الليلة هنا ؟ قالت : إنه قائم من « سانت جالن » في طريقه إلى الحدود وهو في انتظار فرقة التي تصل إلى « برن » بقطار نصف الليل !

قلت : وهل تقومين وحدك بشؤون الفندق هذه الليلة ؟

قالت : لقد ذهبت القتيات ليدرن أمورهن قبل رحيل الرجال ، حتى مسز قايل أيضاً ... فإن زوجها ينادر المدينة بعد ساعتين لينضم إلى فرقة في « بارل » ، وأنت تعلم أن الشبان قد ذهبوا إلى صفوف الجيش بعد أن أعلنت التبعة العامة لهذا المساء .

قلت : أرجو أن يعودوا قريباً إلى أهلهم وديارهم وأحبابهم ، وأحب ألا تجهدى نفسك من أجل ، فكل ما أطمح فيه فراش أتوسده هذه الساعات الباقية من الليل .



قالت : لا عليك أيها السيد فان مس "كارين" قد حدثتني عنك وليطب خاطرك ؛  
قلت : أخشى أن يكون وجودي الآن قد شغلك عن أداء واجب عزيز . . . فتورد وجهها وهى تميل إلى الباب دون أن تفيض ؛  
ورحمتُ أسائل نفسى أليس لهذه الفتاة الوسيمة أليف تبتهج لمراه أو يخفق قلبها بنجواه أو ليس من ينتظر قلبها أو عناتها أمام عربة القطار فى هذا الليل وتحت هذا المطر ؟ ... وانطلق الخيال يخلق من الوم الطارىء قصة حب عائر أو حبيب غادر ؛ ولاح لى فى هذه اللحظة خيال "كارين" هذه الشابة الحسنة التى تبذ العذارى رقة وخفراً ، إنها فى الثانية والعشرين من عمرها ، تؤمن بالسحر المصرى القديم ، وتكلف بحديث الحرم فى الشرق ، وتثق بطوالع النجوم ، وتصدق قراءة الكف ، وتسال عن المستقبل وتبحث عن الحب والرجل المنتظر ! إنها تتق بأرائى وتتدفع فى حاسة إلى حديث الفن بلهجة انجليزية حلوة جذابة فلما سمعت مثل موسيقاها من أفواه الانجليديات أقسمن ؛ وكنت أعجب لهذه الشابة الذكية القلب المشرقة الروح التى قضت شطراً من عمرها الباكر فى بينات الانجليز الخاصة وتحت سماء انجلترا كيف تسلم عقليتها بهذه الحرافات وتعلق بنفسها هذه المعتقدات المضحكة ! وتمثلتها على مكتبها وهى تراجع حساب الفندق وكلما أجهدتها الفكر مررت بالقلم على فها الترمزى الصغير ، وهى بشعرها الكستائى المنفوش وعينها الرامدتين ووجنتها البازئين كشاعرة نيلة بهرتها رؤى علوية طافرة ، أو سحرتها أنغام قدسية حاطرة ؛ و ذكرت اليوم الاول الذى التقينا فيه على الباغرة الصغيرة بين « اترلاكن وتون » وهى متكئة على حاجز السفينة ترقب الرغو الفائر تحت قدمها ، وقد امتد خطوطاً عريضة طويلة والحواء يرفع جانبي معطفها الحريرى الأبيض المهنفاه إلى مافوق ذراعها فكأنها ملك السحاب يضرب

بجناحيه الناصعين في الورقة الصافية متقدماً رعيلاً من التهام الابيض ! وتحدثنا في برامة روحين متجريدن من نوازع الدنيا ومنازعها عن ذلك الجو الشعري الفاتن ؛ وكانت خيالية مفتونة بالصور والألوان والانغام والاصداء فوجدت في صاحبها الموافق ، ورفيقها المجاوب ، وتكلمنا عن التلوج في قة جوفراو ، وجبال الالب الداكنة السوداء ، كما تبدو من هذه الغابة الصاعدة عند منابع الرن بين حدود سويسرا وفرنسا ، وأنشدتني مقطوعة للشاعر الاسباني "جوستاويلكور" عن فيلا "كارلوتا" على شاطئ بحيرة كومو وعقدنا مقارنة بين البحيرات السويسرية والاطالية ومساقط الماء في جبال إنسبروك ومنتابع الرن وتحدثنا عن الصحراء والبحيرات الافريقية والنيل المقدس ، ثم أسمعني ألياناً للشاعر الانجليزى "جون كيتس" يخاطب فيها "النيل" بقوله : يا ابن جبال القمر الافريقية العريقة في القدم ! يا وادى الأهرامات والقاميسح ! وقالت إنها كانت تظن سكان ذلك النهر المقدس من العاقبة وأن لهم مثل أجسام القاميسح ضخامة ومثل فهود الأذغال قوة وضراوة .

وانتهى بنا المطاف إلى هذا الفندق الذى تديره غائتها مسز قاييل ، هذه المرأة المثشكة ، ذات الوجه الجامد الذى لاينم عن عاطفة ولا يحتلج بإثارة ما ، وكانت ترى في علاقي بابنة أخيها ما لا يروقها ، وكانت تقابل بالامتناع ابتهاج الفتاة بلقائى وبالتحدث إلى ، ولا أنسى هذه الليلة منذ أربعين يوماً وكنت منكباً على خرائط لبعض ممالك أوروبا أقرأ أسماء البلدان والعواصم وأرسم بالخبر الأزرق خطاً طويلاً مترجماً أين به طريق صاعداً من مارسيليا إلى كوينهاجن وهامبلاً إلى برلين قارسوفيا فنيئا إلى نابلي ثم صاعداً ثانياً إلى ميلانو فنحرفاً إلى نيس فارسيلىا .

وكانت كارين إلى جانبي تساعدني في قراءة المخطوط الدقيقة ساعة طرقت

هذه المرأة الباب بعنف واقترحت علينا الغرفة بفتة ، وعلى صوتها الأجناس الجفاف  
 انتفضنا ذعراً وسقطت تقطة كبيرة من الحبر لم تلبث أن غلقت ثلاث مدن  
 كبيرة وسودت الفضاء بين براغ وفرسوغيا وثينا ، ولشد ما تشامت من  
 ذلك الحادث وتطيرت له وهما حتى ذلك المساء وأنا أعبّر نهر إلي من ضاحية  
 فيزرهرش إلى درسدن فإذا بركاز من الحديد ينصبها بعض الجند على جوانب  
 الجسر وقد برزت فوهات المدافع من جوانبها ، والناس يتجمعون لإزائها من  
 بعد ، وهم في ذهول وذعر ووجوم ، وفي الساعة الثالثة غادرت فراشي لاستقل  
 آخر قطار يغادر المدينة على نذير الحرب ! وكانت أوروبا كلها ترقص في  
 هذه الليلة على فوهة البركان الثائر .

وظلت هذه المشاهد والحوادث تتوالى على خاطري كأننى استعرض  
 شريطاً سينمائياً وعيناي غائستان في لجة الليل القاتم وأنا في يقظة كالخالم حتى  
 أفتت على ضوضاء وأصوات تتجاوب بها أرجاء الميدان ، وأسرعت إلى ردة  
 الفندق هابطاً درج المدخل فإذا بالخدمة وقد وقفت ترقب المشهد من حانوت  
 بآئمة التبغ المجاور ولجأة نظرت إلى وهى تهف : مس "كلرين" ! مس "كلرين" !  
 فوثب الدم في عروقي وتطلعت أمامى فإذا بها في ذات الثوب الأزرق الذى  
 رأيته فيه أول مرة وكان وجهها ينم عن فرح بلسانى رغم الحوادث التى  
 توالى في هذا اليوم على العالم .

ومدت يدها إلى فاحتوت كنى راحتها الصغيرة وهى تتبقي بسرورها  
 لعودتى ، وأسفها على انقطاع رحلتى ، وسألتنى إن كنت سأبقى غداً في برن  
 فقلت : غداً يا عزيزتى أخبرك فليس لى أن أقول شيئاً هذه الليلة فربما جدت  
 حوادث أخر ، قالت : لقد أظن المدياع نبأ اغلاق الموانئ الإيطالية  
 وانقطاع المواصلات بين فرنسا وإيطاليا ، ولا أحب أن أزعجك عن راحتك

بمثل هذه الأبناء التي تعتبر عادية بالنسبة للتوقع ! قلت حسناً "يا كارين" وارفع الضجيج في تلك اللحظة واختلطت الأصوات من صدحات أبواق ودقات طبول وخطوات جند وخيول وعربات وسيارات موسوقة بالمدافع والذخائر ولقائف الأسلاك الشائكة وغيرها من أدوات الميدان .

وجذبتني "كارين" إلى منحى قريب يشتد فيه الضوء ، ونكاد نلص منه بأيدينا الجنود وهم يمشون بخطواتهم اللامعة تحت الأضواء ورذاذ المطر ، وجباهم متأقمة بالعرق قطرات الماء ، وعيونهم اليقظة الصافية تومض بالقوة والفتوة والأمل ؛ كانوا يسيرون صفوفاً بخطواتهم ذات الإيقاع الموسيقي الريب ، يفرمهم الجلال وتفيض عنهم الروعة ، وينطق موكبهم بأبيل المعاني ، وكانت "كارين" الحسنة تلوح بمنديلها الأبيض وتشر على شبابهم ابتساماتها وهم يمشون بنظراتهم المقدرة المعبرة عن ابتهاجهم بهذه التحية الصادقة ، وأثر في هذا المشهد الرائع وهو أصابي مرأ عنيماً ، قد ذكرت وطني وذكرت مائتين مقبلون عليه في غدنا من جد الحياة وجلادها ، وقلت لنفسي هل يتاح لي أن أرى لمصر مثل هذا الشباب المستقل المتفاني وهو يسير في موكب الحياة مقتول السواعد مشبوح النظام ؟ وهل يقدر الله لي أن أشهد فتياتنا وقد وقفن مثل هذه الحسنة ، وفي مثل هذا المنحى ، تحت الظلام والمطر والريح القارس ليترن ابتساماتهن على جباه شبابتنا البواسل وهم في طريقهم إلى الميدان .

واختفى خيال المركب الكبير ، وتلاشت أصداؤه على رنين ساعة الميدان وهي تنق مؤذنة بانتهاء الليل .

وأمسكت يدي بيدها وسارت بي إلى الفندق ، وأنا مغمى القلب بأحليس مهمة ، ونوازع غامضة أكاد أترجم منها لغة ونفوة .

ووقتاً في الردة وهي تقول : إن سفر عشرين ساعة في القطار وفي مثل هذه الظروف السيئة يتقاضاك الراحة الآن وأنت متعب ولا شك ، قلت : إن لقاءك يا عزيزتي راحة المتعب وشفاء العاني ، قالت : أراك ذليق اللسان لبق العبارة فتعال بنا نشرب القهوة معاً وتحديثي بأنباء رحلتك منذ فارقتنا .

وتكلمت مع الخادمة ودخلنا غرفة الموسيقى بعد أن أغلقت بابها ثم تهاقنت على مقعد صغير وهي تقول : الآن يطيب الحديث .

قلت : جذبا حديثك أنت " يا كارين " فأني في حاجة إلى ما يبهجنى .

قالت : أسفاً يا صديقي فإن هذه الحرب كما سدت طريقك قد سدت طريقى أيضاً .

قلت : هذه مفاجأة ولا شك فبافه حديثي .

قالت : كنت على وشك السفر إلى باريس صباح أمس وكادت تكون هذه الليلة أولى ليالى في الأوربا وللمسد ما كنت سأحلم بالسعادة والمجد وأنا أرتل للنشيد على موسيقى بليني في أوربا « نورما » في موسم هذا العام . قلت : لا علم بذلك يا صديقتي .

قالت : أنت تعرف أنني قضيت عامين في ميلانو أتلقى فن الغناء وأني اشتركت في أغاني أوربا " كوستانتينو " التي وضع ألحانها " فرنسكو جاسبارين " كما اشتركت في غنائيات كثيرة في روكال وسكالا وكانت تؤثرني بإعجابها المغنية الراقصة " جاريلا بيرانسوني " بطلقة « كارمن » .

قلت : أنت لاذلت في مطلع شبابك ، ومستهل حياتك ، ولا تزال أمامك الأيام طويلة بعيدة الآماد ، المستقبل لك يا عزيزتي فلا تأسني على شيء فربما انتهت الحرب قريباً جداً .

قالت : إن التعامل يرضى الأحلام ويقنع الأوهام بعض الأحيان فلنطمح ولننتم !

قلت: إذا شئت فأني سأجعل لك من هذا الخمر حقيقة محسوسة ومن هذا الوم واقفاً ملبوساً .

قالت : أسرع إذن فأني واقفة بك :

قلت : فكرى ياسيدى قليلا فى باريس، ولتجعل من برن باريس، وليكن هذا الفندق هو دار الأوبرا، ولتكن غرفة الموسيقى هذه هى المسرح، أما هذه الموائد والأرائك فهم النظارة، فانهض الآن أيتها الفتاة الشابة، ومرى بأناملك القائمة على هذا البيان، ووقى اللحن وأرسل صوتك القوى الخنون بأغاني نورما . ولنفض روحك بأرغم النغم وأرقه وأبدعه ! ولتلكى قلب هذا الأخير، وليكن لك فيه ملك الفناء الخالد .... وفتح الباب ودلفت منه الخادمة بإناء القهوة ، قلت : قنى يا آنسة وضى هذا الاناء بيدياً ثم خذى بجلسك على يسار هذه الملكة الموعودة . . فارتبكت الفتاة وضعت فيها دهشة، وضحكك "كارين" وهى تشير إلى المقعد الصغير على يسارها وكأنها تدعو الفتاة إلى تلبية هذه الدعوة . . وأقبلت الفتاة وقد زابتها ارتباكها وخجلها واخرجت شفتاها عن ابتسامة جميلة فهضت "كارين" بها قائلة . . .

إسمى يا د إرنا ، إن هذا الساحر يتكلم الآن بروح أجداده، هؤلاء السحرة يعاقبون الذين لا يطيعونهم ولا يأتهمون بسلطانهم . وهأنذا أقدم فروض طاعى . . واعتدلت فى جلستها وقد اتخذت هيئة الملكة الشاذية وبدأت إنشادها بصوت يتأرجح مرها ، ويتضرع شباباً ، ويترسل صفاء ، وعدوبة ، وجرأاً ؛ وانفعلت بنشائها هى فاستحالت طيفاً راقصاً نابضاً باهتزازات هذه الانشام المطلقة فى سكون الليل تودع السلام ، والحب ، والرحمة فى قلب هذا العالم .

وصفقتا لما كثيراً . وصفقت، لنفسها ونهضت واقفة وقد حارت دمة صافية فى عينها وهى تقول : باقه لى متأثرة أكاد لا أملك نفسى، لم إلى

غرفتك الآن يا صديقي فأني سأنام هنا في غرفة خالتي ، نعم مساء . وإلى الصباح ، قلت : تامين الآن ؟ قالت : وهل في ذاك غرابة ، قلت : كلا ، وصالحتها بحرارة كأننا كنت أودعها .

وفي الصباح راجت الشائعات بأن الأمم الصغيرة معرضة للغزو لأنها منافذ إلى فرنسا ولأن حدودها خالية من الحصون الفولاذية ونصحني من أتق به أن أغادر البلاد فوراً وإلا عرضت نفسي لمتاعب هائلة .  
وتناولت طعام الغداء عجلاً .....

.... ووقت " كارين " بالجمال المجرز على باب غرفتي وأنا أجمع ثيابي وأطوى معطني على يدي . وهبطنا الدرج حتى الباب الخارجي ، وكانت المطر شديداً ، والبرق يلعب في جوانب السماء ، كأنه حراب القنبر تصرع الزمن العاق ، وقبلت يديها وهي تضغط بها على فمي كأنها تقبلني هي الأخرى وأخذت طريقى إلى المحطة وأنا أقرع بقدي أحجار الطريق والمطر ينهمر مدراراً فوق ويكاد ينفذ من ثوبي والمعطف لا يزال مطوياً على يدي وأنا مستغرق في شرودى مستعيداً حلم الأمس الجليل !



# باريس

وطى غيز المتوقع اهتز قلب الانيب باثماً الخطير : أن الامان داخل أبواب باريس ! وقد  
سلت باريس نفسها إلى النزاة ، وانهارت الجمهورية الثالثة ، وضى القدر في سحرته  
فعل عيد الحرية بعد أيام من هذا الحادث فإذا الاحرار مستبدون وإذا مدينة النور  
ترسف في الظلام . وقد صور الشاعر إحساسه بذلك الحادث التاريخي ذاكراً باريس في  
محتما ، مطوقة بمالها الحبيبة إلى نفسه ، وكيف لا يذكر الشعر للكونكورد ونافورتيه  
العظيمتين والمسة المصرية الساعقة ؟ وكيف لا ييبب بنابليون في مرقد به بالانجليد ؟ وكيف  
لا يهتف بالنوار في ساحة الباستيل ؟ بل كيف لا يبكى أهل الجبال وأجد أعياد الحرية في  
حدائق فرساي أو أعيرا كيف لا يذكر الشعر فرنسا بمبادئ ثورتها التي كفرت بها حتى  
سول الجزائر سراى نفسه أن يخلف طامسة الاموين يتقابل مدافعه منذ ستة عشر عاما .

سألوني عن ياني وقصدي أسفا . باريس اقدمت نفسيدي ا  
لك ذكراك ولي عهد بها كيف أنسى ذكرياتي وصهودي  
أنا لا أنسى ليالى على روضك الرقاف بالزهر التعنيد  
نمر الفكر وجمسى نوره ومراح العين والقلب العميد  
خطرة طارة عدت بها عودة النواص بالدر القريد  
فاعذرى الزهر في كنى إذا أخرسته ضجة الرزه الشديد  
يوم قالوا جلل القيد يدا حطمت بالامس أصفاد العيد  
حلت مشعل حرياتهم في شرافة من شباب المجد صيد  
كيف يا باريس باقه هوى ذلك النجم من الأق البعيد ؟



إن يزل منك المنيدون فما  
 لست ببنائاً ، ولا أرضاً ، ولا  
 أنت ممسئ طالمُ الفكر به  
 كبة الأحرار ! هنى حنة  
 صرع الثورُ به وانصرت  
 وأق الليل ، ومن أهواله  
 أين من فرساي ألق ضاحك  
 وعلى كل طريق موكبٌ  
 لكأن اليوم ألقى مأتماً  
 حال شدو المسافر في أحواضه  
 وقفت مهرُ به ساعرة  
 غلب السميت عليها وهي في  
 ساحة الباسيل ! حان الملقى  
 أين أبطالك ؟ ماذا ! أترى  
 أغدوا أسياهم ؟ وبعج ، وما  
 وبهم قد شبيوا أعيانهم  
 فوق أرض صيفت من دمهم  
 فوق أحجارك صرع أنسهم  
 فاذكريهم بالذي عرّ بهم  
 فاضوا غير تقوم وحلود !  
 غاب آساد ، ولا حجة غيد  
 يمتدى قبضة الباغى المرید  
 راعت الأحرار في أكرم عيد  
 جبهة الشمس عن النور الشديد  
 أن ترى بين ظلام وليسود  
 مشرق من أمل الشيب الجعيد  
 صاذع الأبواق خفاق البنود  
 وأرى الكنكر د كالقبر الحريد  
 نقشة الفرق يجر من حديد  
 من نحوس ثوالى وحشود  
 صمتها الخفاك طلم الرجود  
 وتماثل صرخة القهر الوليد  
 جرب الليل عليهم بالوصيد ؟  
 عودوا أسياهم حبس النمود  
 بين نصف النار أو نصف الحديد  
 وتمتت كل جيبسار شديد  
 فلدات كتبت عطر الخلود  
 واقرى تاريخهم ، ثم أعيد !

أبها المائد من غاراه  
تلك رايانك ، فانظر ! أترى  
أين من برلين أو آفاقها  
تطأ الأرض إلى مشرقها  
لفرنسا ممة لا تقنى  
بالتليل الجمع من أبنائها  
أمم ترسف في أحقادها  
لم تسير فوقها دبابه  
شرف الحرب كما قُتته  
فاعذر اليوم فرنسا إنها  
قرعت للصر كاسا ورحها  
رقدت عن غلما واقبت  
أسفرت سيدان عن مأساتها  
لثرة أخذ منها خنجر  
شهد المجد لها باسلة  
فابت المزة من تاريخها  
واطلع اليوم عليها سيرة  
أبها التامح لا يفرك ما  
لك في الميرة المتلى فلا

راقدا تحت قباب د الأشايد ،  
من سيوف تحتها أو من جنود؟  
جيشك الظافر بالجيش البديد  
مُغلا في أثر الدب الشريد  
أمتت في النار أم تحت الجليد  
تنزع النصر من الجمع العديد  
دنتها بالصنع والصنع الحيد  
أو تباعثها بطير من حديد  
ملقى سيفين في ظل البود  
وقعت بالمهد في دنيا الجلود  
صرعتها نخرة النصر التليد  
حيث لا ينفع صحر من رقاد  
وتهاوى حجر الحصن المشيد  
قد تقته على حر الوريد  
تحتبت بالدم من نحر وجيد  
وتألق ببناءه من جديد  
وكن الشاعر وامض بالقصيد  
أنت فيه من حون وسدود  
تأمن الرلة في أوج الصود

رَبِّهِ النور ســــلاماً كلما  
 لك في كل خيال صورة  
 غير ذكرى يرجع الفكر بها  
 لهف نفسي لدمشق ولبن  
 من شواطئ يقذف الموت على  
 فأنا الشرق لا أنسى الذي  
 المسـاواة التي أعطتها  
 والاعاء الحق ما كان سوى  
 وطني الروحي ، إن أغضب له  
 وراثته خالد من أدب  
 كفرت ثورتك الكبرى به  
 سار بالاسلام نوراً وهدياً  
 التيقن هـمـــــو نواره  
 مخفى بالحق والروح الذي  
 وابشها ثورة أخرى فا

هتف الشعر بماضيك المجيد  
 برئت من وصمة العصر الجديد  
 ليالٍ من عصور الظلم سود  
 خرفها من جريح وشريد  
 رُكَّع في ساحة الله بهود  
 حاق من حكاك بالشرق العتيد  
 أعطته بنــــلير ووعيد  
 مدفع يرى يبرّد وميد  
 فلاباء كرام وجــــود  
 أنا قاده بروحي ووجودي  
 وهو المحسن يُجرى بالكنود  
 بسى عيسى خطى الحق الطريد  
 حاملوا الشعلة ، أعداء القيود  
 مز بالثورة أركان الوجود  
 يعرف الأحرار معنى للجود

## من مراجع الكتاب

- Verlaine, his life & his work (T. Werner Laurie,).  
طبعة لندن ١٩١٩ .
- (Titans of Literature) (By Burton Rascoe) .  
طبعة لندن ١٩٣٣ .
- Baudelaire Poems in Prose (Arthur Symons) .  
طبعة لندن ١٩٢٨ .
- Arthur Symons's Baudelaire, a study (Elkin Mathews).  
طبعة لندن ١٩٠٩ .
- Baudelaire, Fleurs Du Mal (Beresford Egan & C. Bower Alcock).  
طبعة لندن سنة ١٩٣٩ .
- An Anthology of World Poetry .  
طبعة لندن سنة ١٩٣٠ .
- Anthologie des Poètes Français (Fernand Mazade).  
طبعة باريس سنة ١٩٢٦ .

## رمز هذا الكتاب

آثر الملاح التائه أن يكون مؤلفاته رمز خاص به وقد وفق الفنان الرميل  
ميشيل فوقى المهندس فى الرسم الموجود على غلاف هذا الكتاب والذي  
سيكون بمرور الزمن رمزاً لجميع مؤلفات الملاح التائه فلهذا الشكر والتقدير .

## فهرس

صفحة	دراسات أدبية
٧	بول قرلين
١٨	شارل بودلير
٣٠	فى الأدب الانجلىزى الحديث
	قصائر مترجمه
٤١	القبة ليرسى شلى
٤٧	الشاعر وكتابه لادنا فنسنت ملای
٥٠	عودة الملاح لجون ماسفيلد
٥١	أغنية القطيع لأوزبرت سیتول
٥٢	بيت الراعى لآلفرد دى ثینى
	ذکریات أوروبیة
٥٦	الليلة الأولى
٦٧	فى میدان إسدرا
٧٣	یوم فى فرسای
٨٣	قناة برن
٩٢	باريس (قصيدة)
٩٦	مراجع الكتاب





## تصويبات

وقعت بعض أخطاء مطبعية طفيفة يدركها القارىء، ونرجو تصويب الكلمات الآتية فى الصفحات المبينة أمام كل منها .

Rebecca	صفحة ٣٠
William	٣٣ ،
Kipling	٣٤ ،
الرجل	٤٨ ،
السنى	٧٠ ،
البروتستانتية	٧١ ،
إنها اللاشعورية الفنية	٨١ ،











